ديوان المازني

بقلم الأديب

إبراهيم عبد القادر المازني

الجزء الثاني

الناشر

شركة نوابغ الفكر

الإهداء

ذهنيَ محرابُ حسنكم وبه صورتكم دون سائر البشر
وخاطرى لابنى يرتّل كالرا هب آياتِ حسنك العطر
لأبنين مذبحاً وأجعل قر بانى فؤادى وما انقضى وطرى
إذا خبتْ نارُه وقصّتُ لها عودَ المُنى فهو غير ذى ثمر
فاقبل فؤادى لحسن وجهك قر بانا فقد كان خير مدّخرى

ابراهيم عبد القادر المازنى

المقدمة

بقلم صاحب الديوان

الشعر فى أصله فن ذاتى يحاول الشاعر أن يرضى نفسه به ويتعلل ويتلهى ، إلا أن هذه الحال التى ليس للشعر فيها إلا غرض ذاتى ولا غاية إلا الترفيه عن أعصاب الشاعر وإراحته من ثقل الفكرة التى تتحول إليها العاطفة — هذه الحال لا وجود لها إلا فى العصور الأولى من تاريخ الإنسان ، أيام كان يأوى إلى الكهوف والغيران ، وينقش على جدرانها صور الحيوان الماثلة فى الذهن المتشبثة بأهداب الذاكرة والوجدان — أولئك المستوحشون الذين كانوا يزينون كهوفهم بصور الحيوان والأعداء والنساء ، ويوقظون الصدى فى مخارم الجبال ومنعطفات الأودية بأنغامهم الشاكية الهافية ، ويطفئون وقدة الوجد بالرقص فى ليالى الربيع على ضوء القمر ، ويترجمون عن إحساسهم بظواهر الكون فى أغانيهم وأساطيرهم ، هؤلاء هم أول — وآخر — من عالج فناً لذاته .

ثم لم يلبث الشاعر أن أحس فرق ما بينه وبين سائر الناس ، وأدرك أن إحساساته أدق ، وأداءه عنها أبلغ وأوقع ، وأنه فى الجملة أبعد منهم مرمى ، وأرفع مصعداً وأرقى قدراً ، وأن له شأناً غير شأنهم ، وأنهم يلتذون كلامه ويشجعونه على امتاعهم بمثله ويزفون إليه ثناء لا يلبث أن يصير إعجاباً . وخليق أن تحدث هذه الحال الجديدة الناشئة عن شعوره الجديد تطوراً فى أغراضه وبواعثه ، فيصبح ما كان ضرورة جسمية ذاتية — كالطعام — فناً

عملياً يزاول ويعالج ويتعهد بالتهذيب والتنقيح والتجويد ، ويصبح ما كان فى أصله وحياً لا حيلة له فيه عادة وأسلوباً ؛ وسرعان ما يصبح الشاعر يقلد نفسه !

فاذا كرت الأيام ودار الزمن وجاء وقت التفكير الهادىء والعمل المرتب المنظم ذكر الشاعر ساعة تملكته حمى الوحى والألهام ودفعته قسراً فى طريق الأدب — وإن غريزته ما زالت تلهمه وتوحى إليه ، ولكن عمله فى الواقع قد صار صناعة تقسره عليها الإرادة الذكية والرغبة الملتهبة ، وما زال يطلب إرضاء نفسه وهو يعالج عمله ، ويبغى الترفيه عنها من ضغط عواطفه ، ولكنه قد أصبح طماح المعين كثير المراغب يفكر فى جمهور قرائه وعشاقه ويحلم بما يمنى به نفسه من النجاح .

وواضح من ذلك أن الشعر كان يعالج لذاته أو بعبارة أخرى ليريح المرء نفسه من ثقل الحاجات الجسمية ثم صار الشاعر يطلب أن يرضى غيره فضلا عن نفسه ، وامتزجت فكرة النجاح والتأثير بعواطفه المنتجة ، ولكن الشعر الذى يقع من قلوب الناس ويبتعثهم لا يمكن أن يكون تقليدياً مكذوباً فان القلب لا يخطىء فى التمييز بين الشعر الكاذب والشعر الصادق ، والنفوس معايير حساسة لا يجوز عليها التزييف والتمويه والتزوير .

بيد أنى لست أنكر أنك قد تبلغ بالكذب ما لا يبلغه الصدق ، وتنال بالتمويه والخديعة ما لا تنال بالحق ، غير أن الأديب أكبر من ذلك وأرفع ، وغايته أسمى وأبعد ، وللشعراء ضمائر شاهدة غير نائمة ، والحق أحق أن يستولى على هوى النفس ، وينال الحظ الأوفر من ميل القلب ؛ وكيف يطيبك رجل يمسك على ما فى نفسه ويستر ما يناله حسه ويفر من شخصيته أو رجل لا ينظر بقلبه ولا يستعين بفكره ولا يستنجد فهمه ، أو آخر يأبى أن يبرز معانيه من ضميره ، وأن تدين لتبيينه وتصويره ، وأن ترى سافرة بغير نقاب ، بادية دون حجاب ؟

لقد طال استخفاف المتأدبين بضرورة الصدق والاخلاص حتى استخف بهم الناس ، واشتد غلوهم فى إنكار مكان الحاجة إليهما حتى أنكرنا عليهم ما تكلفوه من فضول القول ونفاية الكلام وما تجشموه من ضروب الأغراب الذى لا يغنى من الأدب شيئاً ، وأنواع المعاياة التى لا تعود بطائل ولا ترجع بفائدة ؛ ولعمرى لست أعرف شيئاً هو أحلى جنى وأعذب ورداً من الشعر إذا صدقنا أهله المقال وترفعوا عن التقليد الذى لا حاجة بنا إليه ولا ضرورة تحملنا عليه ، وتنزهوا عن مجاراة الناس ومشايعة العامة وتوخى مرضاتهم ؛ فأن لنا أعينا كأسلافنا وقوة حاسة كقواهم ، ومادة الشعر لا تفنى ولا تذهب لأنه ليس شيئاً محدوداً معلوماً .

ولكنه صوب العقول إذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب .

وما الشعر إلا معان لا يزال الإنسان ينشئها فى نفسه ويصرفها فى فكره ويناجى بها قلبه ويراجع فيها عقله ، والمعانى لها فى كل ساعة تجديد ، وفى كل لحظة تردد وتوليد ، والكلام يفتح بعضه بعضاً . وكلما اتسع الناس فى الدنيا اتسعت المعانى كذلك ، والصدق فى الترجمة عن النفس والكشف عن دخيلتها أبلغ فى التأثير وأنجح ؛ والأصل فى الشعر وسائر الفنون الأدبية على اختلافها وتباين مراميها وغاياتها ، النظر بمعناه الشامل المحيط ، وإذا كان هذا كذلك أفليس من العبث تقليد السلف والاقتصار على احتذائهم والاقتياس بهم فان وصفوا النياق والحمير وصفنا القاطرة والعربات ؟ ألا ترى أن العرب الذين وصفوا النياق والحمير والخيول وأشباهها قد أضاعوا أعمارهم ؟ لا ريب أن وصفهم ذلك طبيعى ، ولكن هذه اللفظة غامضة كل الغموض فان الحمير طبيعية ، والعواطف والأنفعالات النفسية طبيعية ، بيد أنه لا يجور الخلط بينها لأنها جميعاً مختلفات ، والحقائق الطبيعية : فيها الضئيل والعظيم والحقير والجليل ، وفيها ماهو أخشن من أن يحتمله نسج الشعر الرقيق وهناك حقائق يخطئها الأحصاء عدا النياق والحمير ، وللحياة غايات وآمال أكبر مما يشغل النظر ويستغرقه من ذاك . وق يدل وصفها على براعة وإبداع ولكنه

حقيق أن يدل على عجز عن التفطن للحقائق الفنية الجليلة التى ينبغى أن تكون العناية بها أشد من العناية بالخمير والنياق .

إن الشعر ديوان يقيد فيه أهل العقول الراجحة ما يجيش فى خواطرهم فى أسعد الساعات . وهو الذى ينقذ من الفناء والعدم خواطر الألهام ؛ وهو يحلق بالمرء فوق الحياة ويرغمه أن يحس ما يرى وأن يرى ما يحس وأن يتخيل ما يعلم وأن يعلم ما يتخيل ، وهو يجعل القبح جمالا ويزيد الجمال نضرة وجلالا ، ويفجر فى النفس ينابيع الأمن والفزع والسرور والألم ، ويذهب مياه الموت المسمومة المتدفقة فى عروق الحياة . فلا جرم كان الشاعر أحس الناس وأعمقهم حكمة وأجمعهم لخلال الخير وخصال الفضل — نقول الفضيلة والخير ولا نخشى أن يهز القراء رءوسهم إنكاراً ، فان الشعر أساسه صحة الإدراك الأخلاقى والأدبى ولست بواجد شعراً إلا وفى مطاويه مبدأ أخلاقى أدبى صحيح ، وعلى قدر نصيب الشاعر من صحة هذا الإدراك الأدبى تكون قيمة شعره .

ولا يتعجل القارىء فيحسب أنا نقصد إلى إظهار الإحساس الدينى فى الشعر ، فليس كلامنا على مادة الشعر بل على مصادره وينابيعه ، ولا ينبغى كذلك أن يستخلص أن الشاعر يجب أن يكون صاحب مبدأ عملى لا يتحول عنه ، فقد كان بيرنز الشاعر الانجليزى وأبو نواس وامرؤ القيس متقلبى وجوه الحياة ومظاهرها ، ولكن نصيبهم مع ذلك من صحة الإدراك الأخلاقى والأدبى عظيم ، .

ولئن كان لهم معايب نؤاخذهم بها فقد أحالها الزمن هباء لا قيمة له ولا وزن ، وأنت خليق أن تنظر إلى ما وراء ذلك فان أبا نواس أصح مبادى وأنقى ضميراً من البحترى على كثرة ما تقرؤه للأول مما يروع ويخجل ، وكذلك امرؤ القيس أفطن إلى معانى الفضيلة وأعظم رجولة من أبى تمام وابن المعتز ولم يكن الأعشى على حبه الخمر واستهتاره بها وتخلعه فيها بالرجل الناضب الفضيلة .

وكأنى بهذه المعايب والمظاهر الخادعة من لوازم الحياة . والشر بعد لا ينفى الخير ، بل قد ينتج هذا ذاك ؛ فان مما لا شبهة فيه ولا ريب ، أن النفس الإنسانية ليست كخزانة الكتب ترى فيها الفضائل والرذائل مرصوفة مرتبة لا تعدو واحدة مكانها ولا تتجاوزه إلى سواه ، وإنما هى ميدان لتلاقيها وتلاحمها ، وعالم صغير تتصادم فيه الغرائز والملكات وتقتتل على الحياة والبقاء كما يحترب الناس فى هذا العالم الكبير ويتنازعون البقاء فيما بينهم ، وبحر تتسرب فيه الطبائع بعضها فى خلال بعض كما تتسرب الموجة فى خلال الموجة وتغيب .

ولكن جمهور الناس وعامتهم لا يفقهون شيئاً من ذلك وهم إنما يقدرون الرجل بما يبدو لهم منه فى فعاله أو كلامه ؛ إذ كانوا لا يستطيعون أن يوفقوا بين مظاهر الشر والخير ولا يعلمون أن السكير مثلا قد يكون أصح مبادىء ممن لا يعاقر الخمر ولا ينى عن التسبيح فى السر والعلانية ، ولست أريد أن أدفع عمن يتنزى إلى المقابح ويتسور إلى المعايب ، وإنما أريد أن أقول أن القارىء ينبغى أن ينظر من شعر الشاعر إلى نفسه وأن يتلمس من معاريض كلامه ويستشف من وراء لفظه ، نصيبه من صحة الإدراك الأخلاقى ، وأن يجعل ما يستبين له من ذلك مقياساً للشاعر لا ما يقرؤه من ذكر الخمر والتشبيب وغير ذلك .

وبعد فان القراء لا ريب ينتظرون منا كلمة فيما قيل عنا من انتحال معانى شعراء الغرب ، والأغارة على قصائدهم وادعائها . ولقد كنا نحب أن نغضى عن هذه التهم اكتفاء بأظهار الجزء الثانى من ديواننا ؛ فأنه وحده خير رد على ما رمينا به ، ولكن الضجة التى قامت حول هذا الموضوع والشماتة الحقيرة التى لم يخفها قتلى المذهب العتيق ، لا تجعلان السكوت من الحزامة فى شىء ؛ ولقد كان الأنصاف ألا يلام غيرى إذا صح ما نسب إلى ؛ ولكن الناس تجاوزونى إلى غيرى ، واتهموا من أى قياساً على ! وإن كنت لم أرم أحداً ممن

نقدوا شعرى ، بالسرقة ! وهذا عنت ظاهر يريك مبلغ الناس من الفهم والعدل .

أما ما قيل إنى سرقته فقصائد ؛ بعضها ؛ وهو الأقل ؛ مطبوع فى الجزء الأول ؛ والبعض لم يكن قد نشر بعد . ولست أدرى كيف استحل الناس لأنفسهم أن يجزموا أنى إذا طبعت الجزء الثانى لا محالة منتحل هذه القصائد ؟ وهى « الراعى المعبود » و « الوردة الرسول و « الغزال الأعمى » و « إكليل الشوك » وخمسة أبيات من قصيدة « الشاعر المحتضر » وكلها منشورة فى هذا الجزء منسوبة إلى أصحابها .

أما ما اتهمنا بسرقته مما ورد فى الجزء الأول من ديواننا : فقصيدة « فتى فى سياق الموت » وهى ثمانية أبيات ، ولقد راجعنا قصيدة الشاعر « هود » فوجدنا فى قصيدتنا أبياتاً ليست له ونحن نتزل عن القصيدة كلها راضين ونبرأ إلى الله من تعمد أخذها والأغارة عليها ، وقصيدة « قبر الشعر » وهى خمسة أبيات نكلها إلى حظ أختها .

ويقد راجعنا الجزء الأول قصيدة قصيدة لنميط عنه هذا الأذى ، وراجعنا دواوين الشعراء التى عندنا زهادة منا فيما عسى أن يكون قد علق بخاطرنا من شعرهم ونحن لا نعلم ، فلم نعثر على شىء يجوز من أجله اتهامنا بالسرقة إلا أبيات فى « رقية حسناء » وهى « لشلى » ، والجزء الأخير من قصيدة « أمانى وذكر » وهو « لبيرنز » وأول هذا الجزء « يا ليت حبى وردة » .

ولو أن ما أخذ علينا فى الجزء الأول وما نبهنا القراء إليه من تلقاء أنفسنا ، حذف ، لما أنقص ذلك من قيمة شعرنا فإن فى ديواننا الأول نحو ألف بيت وليس ما أخذ علينا خيرها .

ولئن كان هذا دليلا على شىء ، فهو دليل على سعة الاطلاع وسرعة النسيان وهو ما يعرفه عنا إخواننا جميعاً .

هذا ولا يسعنا إلا أن نشكر لصديقنا شكرى أن نبهنا إلى مآخذ شعرنا والسلام .

الرّاعى المعبُود [1]

هى قصة قديمة . (وجيمس رسل لويل) قصيدة فيها وقد نظمتها بتصرف كثير ما بين حذف وزيادة .

* غشى الأرضَ فى شباب الزمان رائعُ الحسن من بنى الإنسان
وجهه كالربيع روّضه القطر وكفّاه كالنسيم الوانى
* ما له بالطعان والحرث والزرع ولا السعى والدّؤوب يدان
يقطع العمرَ بالغناء فتعطو مصغياتٍ سوانحُ الغزلان
وتحطّ العقبانُ بين قمار آمناتٍ من وثبة العقبان
وترى الأفعوان ينصت للصوت وتصغى الذؤبان فى الوديان
* كل عين من حسنه تتلقّاه بوبلٍ من دمعها هتان
* وله روعة تبيت لها النفس تَنزّى كألسن النيران

* * *

زعموا أنه اصطفاه مليكٌ أخذت منه روعةُ الألحان
فهو ندمانه إذا الكأس دارت ومغنّيه والعشير الدانى
وأمين على خزائنه طرا وراعيه سيد الرعيان
نعمة أرمضت قلوب أعاديه وأورت حزازة الإخوان
فمضوا يسخرون منه ويمحون عليه بألسن الأضغان

---

(١) كل بيت أمامه هذه العلامة * فهو للمترجم عنه والباقى لصاحب الديوان . وكذلك فى بقية القصائد المترجمة .

« لا رعاه الإله من باهلٍ كلٌّ يُزجّى الزمان بالإرنان
« يرسل الصوت ضاجعاً فيميد السّا معه تمنايد النشوان
« كيف لا يحسن الغناء وقد فاز بعيش النوامة المبطان
« مسمع معجب ولكنه الآل تراءى للأغب الظمآن
« عبث كله وإن سحر القلب بروعات حسنه الفتان »

* * *

كلهم فيه حائرٌ ليس يدرى أمن الانس أم من الجنّان
« يسمع الناس صوته فيخرون سجوداً لفاتنات الأغانى
« فإذا ما رأوه عادوا فقالوا إنها خدعة من الآذان
يكتسى منه كلُّ لفظ جمالا بارعَ الأخذ مونق الألوان
قصدوا قصده على الرغم منهم وجروا خلفه بغير عنان
فلهم قول كافرٍ ذى كنود ولهم فعل راسخ الإيمان
وهو عنهم فى غفلة معرض الوجه كأن ليس من بنى الإنسان
يلحظ الأرض والسموات والناس بعين جنّيّةِ الإنسان
« وكأن الوجود يوحى إليه بمعانى الجمال والإحسان
ثم وافاه حينه قضى غير مروع من المنايا الدوانى
« ترك الأرض ذات حسن جديد وشباب مخلد الريعان
« وغدت بعده مواطىء نعليه حراما يزورها المشرقان
« أكبرت شأنه الخلائق حتى عبدوه فى غابر الأزمان
ليتهم أنصفوه حيّاً فلما أنْ قضى شيعوه بالنكران

الوردة الرسول

مترجمة عن « ولر » بتصرف

تضحك عن ظلها غلائلها ... ودمعها فى الخدود مزدحم
تهزها نشوة الجمال وللحسن ... حميا كالخمر تحتكم
تحسبها لافتخارها أبداً ... قد سرّها فى منامها حلم
أهديتها شبهها وقلت لها ... قولى له لو تساعف الكلم
« أما ترى رونقى وزهرته ... كأننى بالنجوم ألتئم
« فكيف تجفو إن شبهوك بنا ... وثوب حسنى على منسجم
« يا مانع اللحظ أن يجول به ... كأنما حسن وجهه حرم
يعجبنى المرء ذو الحزامة والفهم ... ومن لا يغره الوهم
« ولا أحب الجمال متهما ... فى رأيه تستخفه النعم
« هبنى ببعض القفار نابتة ... فى حيث لا تهتدى لى القدم
إذاً لما حسّ رونقى أحد ... ولا بكى إن دهانىَ العدم
« يا ظالما حسنه رويدك ما ... أرخص حسنا تجنه الظلم
«فاسمح بأن تُشتهى ويطمع فى ... ودك قلبٌ عليك مضطرم »

* * *

ثم إذ بلى كى تريه مصرعه ... فكل حسن بالترب يلتطم

نهر الحياة

مترجمة بالحرف عن قصيدة « لموريس » اسمها النهر المتعب .

ماض على غلوائه يجرى أبداً إلى بحر بلا عبر (١)
مترقرق لاشيء يحبسه متزاحم كتزاحم الشعر
متضاحك سلس وآونة متوثب عن نزوة الشر
زجل له لحن يذكرنا همس المنى فى رونق العمر
ومزمجر طوراً كأن له رعد الجحيم تثور بالجمر
كم قد أقل عبابه سفنا وأجن من غرق ومن كسر
ورمى بكل غير متئد فى قعر بحر هائل القعر
سيظل هذا النهر منجردا يهوى براكبه إلى البحر
حتى يمل الدهر دورته وتنام عين الشمس والبدر
ويلى عليه وويل راكبه منه ومن بحر الردى القفر !

(١) العبر الشاطىء .

لشاكسبير

أبعدوا عنّى الشفاه اللـــواتى كن يطفئن من أوار الصادى
أغمضوا دونى الجفون اللواتى هن فجر يضل صبح العباد
واستردوا إن استطعتم مردا لثمـــاتى من الخدود النوادى
كن للحب خاتمـــاً وأراها عبثـــاً ما طبعن فى الأجيـــاد

حوّاء والمرآة

من الفردوس المفقود (للمتون)

وما أنسَ ذاك اليوم لا أنس طيبه ... وقد بعثتني من منامي المقادر

فألفيتني وسنانة تحت وارف ... من الظل في أكنافه الزهر يبسم

أسائل نفسي أين كنت ومن أنا ... وأعجب مما أجتلي وأشاهد

وغارٍ برود الريح جاشت ضمائره ... وفاضت برقراق المياه سرائره

ندىً رنين الصوت في أذن سامع ... وفتان تلماع الحبـاب لناظر

تحدر حتى قلت ليس بمنته ... وأقصر حتى قلت جفت مصادره

جرى ما جرى ثم استقر أتيّه ... وشن جمالا بارعاً وجـلالا

فلله ما أصفى وأصقل ماءه ... كأن سماءً رُكبت بثراه

رميت بلحظي في صقال أديمه ... فأفصح عن قد نقى المحاسر

يصد ويدنو ما دنوت وينثني ... يصوب مثلي طرفه ويصعد

ومن عجب أني بعينيه اجتلي ... نظـائر ما أبدى له وأعالن

فلولا رحيم لم أجد غير صوته ... لقد ظل هذا القد قيد عياني

يقول رويداً ربة الحسن والصبا ... فما ذاك إلا صورة من جمالك

تعالىْ إلى من لا يعنّي طلابه ... ومن لا يحول الماء دون عناقه

ومن أنت منه صورة هو أصلها ... وهل كنت إلا بعض ما ضم جنبه

من رُباعيات عمر الخيام

مترجمة عن "فتزجرالد"

— ١ —

يا أسفا للربيع يذهب بالورد فلا تجتليـــــه أعيننـــا

وللصبـــا تنطوى صحـــائفه ولم يزل نشرها يفاوحنا

وأين لا أين بلبل غرد كان يغنى على الغصون لنا

غاب فهل عند بعضكم خبر وهل ترى ينقضى تســاؤلنا

— ٢ —

يا رب باب لم أجد مفتاحَهْ
ورب ستر رمت أن أباحه
فذاد لحظي وثني طماحـه
قد خضن فينا ألسن جراحه
إذا غد راح بنا مراحـه
كسر كل طاعن رماحه

— ٣ —

أترع الكأس يا حبيبي ودعني من أمور يشقى بها القطن
ليس يغني ياقرة العين شيئاً علمنا كيف ينطوي الزمن
لم تلد هذه الليالي الخوالي الـ ـغدَ والأمسُ لفـه الكفن
فاسقنيها وحيينا اليومُ ما دا م غريراً ووجهـه حسن

كلّ يوم لى شكاة

كل يوم لى شكاة ... بكلام العـــبرات
أطمع القلبُ ومازوّد ... غـــير الحسرات
من ذوى الحسن غريرٌ ... متناهى الغفـــلات
غرس الوجدَ وأجنى الشو ... قَ ممـرور الجنـاة
معرضاً فى غير صد ... دانيا غـير موات
ناقـراً وهو قريب ... وهو جم اللفتـات
أتمنـــــاه ولكن ... كيف لى بالأهُبات
ضعف الصائد عن ظبى ... كثـير الوثبـــات
لقطفناه لو انَّ الحـ ... ـن دانى الثمرات
آهِ من قلبٍ إلى الحـ ... ـن كثـير الصبوات
يا صحابا أقصدتهم ... أعينٌ غـير ثقـاة
يتشـاكون غـراما ... غير كابى الجمرات
فى زمانٍ يقظ الآ ... لام موفور الأذاة
أنا بالشكوى خليق ... فدعـونى وشـكاتى
واهنأوا أنتم بقـرب ... من غزال أو مهاة

وَإلاّ

ألا ليت شعرى فيك هل أنت ذاكرى ... فذكراك فى الدنيا إلىّ حبيب
ويا ليت شعرى هل تزورن مرة ... فتعفو كلوم للهوى وندرب
لقد طال تحنانى إليك ولهفتى ... وأنت ضحوك لا تحس ؛ طروب
بلى كل حب ليس يخلو من الجوى ... ولكن جرحى من هواك رغيب
لقد كنت أدرى أن للحب أسهما ... ولكننى لم أدر كيف تصيب
نشدتك يا طير القلوب تجنبى ... شراك الهوى ؛ إن الفضاء رحيب
فإنك إنْ تحدقْ بكن شراكه ... يَطلْ بكِ عيش بالشقاء خضيب
لقد كنتُ حراً مثلكن ممتعاً ... أروح ومالى فكرة وأؤوب
فلله أيام إذا ما ادّكرتها ... جننت جنون اليمّ وهو غضوب
تحدثنى الأحلام أنك مسعدى ... وتلك ظنون برقهن خلوب
وكيف وقد جفت حياتى وصوّح الر ... جاء فما بين الغصون رطيب
ذبلت ذبول الزهر أخطأه الحيا ... وقد ذبتُ مثل الشمع وهو لهيب
فيا نور عيشى إن فى القلب ظلمة ... فلح لى فقد أدجى السماءَ مغيب
ويا نور عيشى فيم صدك والقلى ... وفيم ارتداد الطرف وهو طبيب
ويا طير حبى هل تخاف ودادتى ... وتكره أن يصبو إليك أديب
ويا طير حبى إن لحناً تقوله ... يرد إلىّ العيش وهو خصيب
دعى فى عروقى ليس يهدا فأنجنى ... فإنىَ من خطب الجنون قريب
وإلا فصب السم فى الكأس واسقنى ... فإن حياة اليأس ليس تطيب

ألحان بنات البحر

انظر إلى عبابي وصدره الرحيبِ
ورقصه العجـاب وشدوه الخلوب
وحوره الطراب وحسنهـا الرطيب
تدعوك للتصـابي ياغرض الخطوب
في جوفـه الرحيب
هل من فتى لبيبِ موفّقٍ سـعيدِ
قد ضاق بالخطوب ذَرعاً وبالوجود
يفوز في شـعوبي باللؤلؤ المنضـود
هل من فتى سـعيد ؟
يمرح في الظلام مع الحسان الحورِ
محـورة اللثـام مهـدولة الشعور
كأنهـا أحـلامي أو صورة الحرير
تشدو إلى الأفهام بالنغم النضـير
تفرح بالغـرام كالروض بالغدير
والبحـر بالصخور

البحر والظلام

بنات الدجى هذا الذى لم يزل له ... فؤادٌ يناجيكن عن كل نائم
أناخ على الدنيا الظلامُ بكلكلٍ ... وأغرقها فى زاخر متلاطم
وأغمض أجفان النجوم بكرهها ... وأطلق أشباحا كحيرى الأراقم[1]
لها لغط مستهوّل الوقع مُزبدٌ ... بجاوبه يمٌّ رهيب الهماهم
يغادر سوّار الخيال مرنّقا ... يئن من الإعياء أنّ الكوالم
فيالك من ليل بهيم كأنه ... حداد السموات على نسل آدم
ويالك من ريح كأن زفيفها ... نواقيسُ دُقت للمنايا الهواجم
ويا لك من بحر كأن ضجيجه ... صراخ اليتامى فى وجوه المآتم
أحقّت على الأرضين لعنة ربها ... فصب عليها سخطه غير راحم ؟
والاّ فما لليل مرًّا كأننى ... بقبة قبر حافل بالرمائم
فليست تحسّ العين إلاّ حنادسا ... تضىء مجالى هوله المتفاقم
ولا الأذن إلا ما تقص رياحه ... على الموج فى هيّاتهن الغواشم[2]
فيضحك منها ساخراً غير أنه ... إذا جلدته ثار ثورة ظالم

---

(١) إذا اشتد ظلام الليل خيل للإنسان أن فيه أشباحاً تروح وتجىء وربما توهم لها أصواتاً أيضاً — كحيرى الأراقم أى الحيات الحائرة .

(١) أى لا تسمع الأذن شيئاً إلا ما تقصه الرياح على الأمواج — يخيل إليك إذا عصفت الريح على الموج أنها تحدثه بشىء — ومعنى البيت الذى بعده أن الأمواج تضحك سخراً من حديث الرياح ولكن الريح لا تلبث أن تجلد الموج فيثور .

ورائى وقدامى وفى القلب ظلمة ... فكيف فرارى من ظلام ملازمى

ومهوى سحيق الغور من تحت أخمصى ... يحلل من بأس القوى الضبارم

يردّ عُرام الريح حتى يعيدها ... تلوذ بآناف الصخور القدائم

وتصدمه الأمواج فى وثباتها ... فترفض عنه كالغمام السواجم(١)

لها زأرة الآساد إن هى أقلبت ... وخشخشة الاشجار عند الهزائم

جحيم من الأمواه يغلى عبابه ... ويعوى عواء الذئب بين المخارم

ويزبد كالمجهود حتى كأنما ... أشابته أحداث الليالى الظوالم

---

(١) إذا صدمت الأمواج حائطاً أو سوراً أو ما يشبه ذلك فإنها لا تلبث أن ترتد عن هذا السور وهى تشبه فى ارتدادها وتبعثر ذراتها من الصدمة التى أصابتها المطر المتساقط .

فى المناجاة

الله فى كلف الأحشاء مفتون ... يهتاجه الشوقُ من بادٍ ومكنونِ
يقوى ويضعف كالآذىّ آونة ... يطغى وآونة يهدا إلى حين(١)
يمزق الشوق أحشاه كما فتكت ... بالغيم عجرفةُ الهوج المجانين(٢)
مقطّب فإذا ما افترّ عابسه ... فذاك سخر أسّى فى القلب مدفون
قد طارد القلقُ المضنى سكينته ... فبات نهزة خوف غير مأمون
باع الرجاء ولم يبتع به بدلا ... سوى قنوط طرير الغرب مسنون
فى صدره من زمان الصيف وقدته ... لكنه مطلخمّ جدّ مدجون
حنادس كظلام الموت باردة ... وهمس يأس كألحان الشياطين
ماضيه أسحم مرهوب وحاضره ... كظلّته مثل شظيّات البراكين
يستقطر الألم الدامى مساربه ... كأن فى كل عضو نصل سكين
إن نام نغّصت الأحلام رقدته ... أو قام ناجاه همٌّ غير مظنون

* * *

هيهات يحنو على قلبى معذبهُ ... أو يحفل السهم إنْ أصمى بمطعون
وددت لو لان لى لفظ فأودعه ... ما ضاق عن بعضه شرحى وتبيينى
أستحمل الريح معناه لتنهيَه ... إلى الذى ليس يدرى ما يعنّينى

---

(١) الآذى الموج . قال المغيرة بن حبناء :
« إذا رمى آذيه بالطم ... ترى الرجال حوله كالصم
(٢) المراد بالهوج المجانين الرياح الثائرة .

إذاً لفاجأه من حيث يأمنه برق يضيء له قلبي ويبديني

* * *

لا يخصب الظن في جدب الزمان ولا يضوع في قفره عرفُ الرياحين
ولا تهش فراديس الجمال إلى نار الجوى وجراحات المساكين
ألفتُ شجوىَ حتى صرت أحسب في غير التلهف أخلاقاً تنافيني
قوتي همومي ، على أن الفؤاد لها قوت ، فبدأبي أفنيها وتفنيني
أبكي حياتيَ في الدنيا وأندبها من ذا عساه إذا ما مت يبكيني
لو كان يجري الهوى كالنهر مطّردا لكنه البحرُ يغريني ليرديني
أو كان في الحب هلكٌ لاغتبطت به لكنْ لأمرٍ رهيب ما يباقيني
يكوى الفؤاد ويشفيه ليكويَه عودا لبدء ويخليني ليشجوني
هذي الجحيم التي قد حدثوك بها يا رحمة الله آوى كل مفتون

الماضي الحيّ

ما أنس لا أنس أياما نعمت بها ... في ظله وكلانا ضاحك الجذل
وقوله لي في دل ومعتبة ... وقد رآني عن السمار في شغل
« يا قاتل الله وسواس الغرام وما ... كساك من صنعة الأشجان والغلل
أنصب حبائلك اللاتي عُرفت بها ... فإن شعرك سحر نافذ العمل
ماذا تريد بإطراق وقد ضحكت ... وجوه ليلتنا عن غرة الأمل
هذا الشراب وهذي الكأس مترعة ... فاشرب وهات اسقنيها غير محتفل
أما نهيتك عن هذا ؟ أما وأبي ... لأوسعنك تأديبا على الزلل ! »
نفسي فداؤك من جاف كلفت به ... سقاني الشهد في أيامنا الأول

* * *

وليلة كظلام اليأس طاخية ... بلا نجوم ولا بدر ولا شعل
مضيت فيها إليه غير متئد ... يحدوني الشوق حدوا غير ذي مهل
وقلت إني ضيف لا يريد قرى ... إلا الحديث وما أنتم ذوي بخل
وظلتُ أروي خرافات وأسمعه ... حديث قلبي منحولا إلى الأول
وسرّني أنني فيما رويت له ... عنهم أقول له في غير ما وجل
إني أحبك حبا طاغيا فزعاً ... عفّا ومالي بهذا الحب من قبل
وليس فدما ولا غرا فأخدعه ... لكن نصيباه من فهم ومن خجل
فقال ويحك إما أنت مختبلٌ ... أو أنت تلهو بأصناف من الخطل

فقلت لم تخطِ . بى خبل وبى عبث ... مما دهانى من الأوجاع والعلل
وفى الفؤاد ضرام لا دخان له ... وأخبث النار ما تخفى عن المقل
وفى العروق سموم لا طبيب لها ... وفى المحاجر دمع غير منهمل
فلا يغرّنك ضحكى حين تبصرنى ... فذاك سخر فؤاد ضيق الحيل
والمرء يضحك من يأس ومن جذل ... وقد ترى الوشى فى الأكفان والحلل
كم همَّ قلبى بافصاحٍ ولم يقل ... وهم دمعى بتسكاب ولم يسل
صب الزمان بقلبى النار سائلة ... وجف دمعى فيالهفى على البلل (١)
فان تُطق فأسل دمعا شقيت به ... إنَّ الشفاء مسيل المدمع الخضل
فلم يطق وبكى عنى فوا حزنى ... ليت الذى سحَّ من عينيه يُقسم لى

* * *

إنى لأذكر يوماً صالحاً معه ... ما زلت من حسنه كالشارب الثمل
والشمس جانحة حتى لتحسبها ... لاذت أمام جيوش الليل بالجفل
والنيل يجرى كما نجرى لغايتنا ... وكل شىء من الدنيا إلى أجل
فقلت ألهو به ، والجد متعبة ... وأحسن القول ما ألهى عن الملل
«لقد سبت قبلك الشمس التى غربت ... ربَّ البحار ذوات الغارب الزجل (٢)
« ألستَ تعلم أن الشمس زوجته ... تبغيه تحت ستار الليل والطفل؟ »
فقال لا تهذِ يا هذا لتضحكنا ... لقد عرتك وربى لوثة الدخل
أما تزال فتىَّ العقل ظائشه ... كهلَ المجانة وثاباً إلى الخجل
أما يجلُّ حديث عن مهازلة ... ولا يردك عنها قحمة العقل

---

(١) هذا المعنى من مقال لهينى الشاعر الألمانى عن رواية دون كويكسوت . لصاحبها سرفنتس .

(٢) فى بعض الخرافات القديمة أن إله البحر تزوج الشمس وأنها تذهب كل ليلة إليه .

فقلت والله ما إن افترى كذبا ... لكنما أنت فى ليل من الجهل
سل عنهما صادة الأسماك هل سمعوا ... فى فحمة الليل مثلى رنة القبل[1]
وربما هاجه صيفا تلكؤها ... فأمطر السخط شؤبوبا من العذل
وظلت أضحك منه وهو ينهرنى ... حتى انقضى الليل لم يقصر ولم يطل
ليت المحبين مثل الشمس كلهم ... قد زوجوا النار ماء القرب والغزل

* * *

ويوم قلت له والسن ضاحكة ... والعين شاخصة والقلب فى ثكل
أزمعت عنك رحيلا لا إياب له ... فقال بل أنت ظل غير منتقل
فقلت بشرى ، ولكنى على سفر ... من ذا أقام كنجم القطب لم يحل
فقال أالشام ؟ قلت الشام فاتنة ... جناتها وسماء الأعين النجل
لكننى لست طياشا ولا رهقا ... ولست أحسن لعن الدين والملل
فقال بئس لعمرى أنت من دعب ... فى كل أمر وبئس الخلق فى الرجل
فقلت ويحى إننى لا أريد ردى ... لكن حياة وإنى لست بالبطل
وفى الشآم لحاظ لا أمان لها ... يحوطها كل مقدام على الأجل
لكن تأمل نجوم الليل قاطبة ... وأين نجمى بين الأنجم الحلل[2]
أظنه ضل بين الشهب غايته ... مثلى على الأرض بين الوهد والقلل

* * *

يامعرضاً أنت نجمى غبت عن نظرى ... وما ضللت ولكن شيمة الملل
وأنت فى العين أنوار ملمعة ... وأنت فى القلب برد العارض الهطل

---

(١) أى سل عن الشمس وإله البحر صيادى الأسماك ألم يسمعوا رنة قبلها بالليل — هذه الخرافة قد ذكرها غير واحد من شعراء الغرب .

(٢) فى بعض الخرافات القديمة أن لكل امرىء نجماً فاذا غاب هذا النجم مات الرجل .

وأنت تاج خلود لى أتيهُ به ... وقد غنّيتُ عن النّسرين والنفل(١)

وأنت بالليل حلم غير منقطع ... وأنت فى الصبح عزم غير متصل

وأنت جبريلُ توحى لى وأنظم ما ... توحيه من غرر الآيات والجمل

وأنت فينا نبيُّ الحسن لا كذباً ... وللهوى مرسل من أفصح الرسل

إن كنت فكّرت فى هجر وفى بعد ... فأنت فى القلب ثاوٍ غير مرتحل

لا يخدعنّك حسن أنت لابسه ... فلابس الحلى فى الدنيا إلى عطل

يا زهرة الحسن لا يخدعْكِ رونقها ... إن الربيع قصير العمر والأجل

إن الندى لحياة الزهر يضربه ... والحب للحسن طلٌّ ليس بالوشل

فصن جمالك إمّا شئت فى كِلَلٍ ... وادفنه إن شئت فى قبر من الجهل

ليس اختياراً رضانا ما يكلفنا ... صرف الغرام فلا تكثر من العذل

---

(١) نوعان من الزهر .

فلسفة الحُبّ

يا حبيبي وأنت جم الهجودِ ... لا تدعني فريسة التسهيدِ
إن دائي الهوى وإن دوائي ... نظر منك ليس بالمردود
كل شيء إلى فناءٍ حبيبي ... فاغتنم ظل حينا الموجود
إنما الحسن روضة جمة الور ... د وعدلٌ في الروض شم الورود
ما ترى لذة الجمال إذا ما ... لم تجلْ فيه أعين المعمود
لذة الصب في الحبيب ونعمى ال ... محبِّ في نظرة المحب الودود
أيبست وقدةُ الحياة ضلوعي ... فأغثني بويل حسنٍ بَرود
وأثر في الفؤاد ناراً تلظّى ... فحياتي في غير هذا الخمود
أنا كالموج ليس يحييه إلا ... ثورة الريح وانتفاء الركود
أنت للعين وردة بضة الحس ... ن على فرع غصنها الأملود
كلما صافحت لحاظيَ دق ال ... قلب عطفاً على رقاق الخدود
وتشوّقت أن أصلي لربي ... ويدي فوق حسنها المعبود
داعياً أن تظل رَفافة الثغر ... على الدهر ذات حسنٍ جديد
في أمان من المخاوف لو أنّ ... خلوداً في الأرض غير بعيد
ما أحيلى بنانك الرخص يا حب ... وأحنى إيماءه في وعيد
أهوِه اليوم نحو قلبي وقل يا ... طائراً ما يقر كالمزؤود
قرَّ بين الضلوع واسكن — وإني ... ضامن أن تموت جدَّ سعيد

الصِّدق فى الكذب

« قيلت رداً على قصيدة كتب بها إلينا صديقنا الشاعر الجليل عباس أفندى محمود العقاد بعد أن اطلع على القصيدة السالفة » .

لذة العيش فى مدامٍ رخـــد ... ياصديقى فعدْ لماضى العهد
لستُ إبليس ياصديقى ولابعض ... شياطينه فتنكر قصـــــدى
لكنْ الحسنُ روضة وسبيلى ... شم وردٍ بها وتقبيـــل ورد
وقديما كانت سبيلك هذى ... فمتى حلتَ أو تغيرت بعدى
قد وجدتُ الخلوّ صحراء قفرا ... ووجدت الغرام جنّات خلد
هيّنٌ جنْب ماتفوز به النفس ... من السعد سورةٌ للوجـــد

•

لا تلمنى أنى أنقـــــل قلبى ... ناسيا عهدَ غير ذاكر عهدى
إنّ خيراً من التصنع فى القر ... ب بعادٌ على جفاء وصـــد
ضمّنا الود فاتصلنا وعدنا ... مثل ضـــــدين يدنوان لرد
لم يدع بيننا الجفاء ولا البعد ... سوى زورة على غير ود
ضعُف القلب عن هواه وما القلب ... على كل ذى جمال بجـــــلد
سنّة الله لا تجـــيز وقوفا ... يا أخى أو تمهّلا عنـــد حد
يكمل البـــدر ليـــلة وتراه ... بعدها ناقصاً لطلعة ســـعد

• • •

لا لعاً للذى كبا بىَ فى الحب ... وأهـلا بحبىَ المستجـــد
قد تصابيت فاعذروا أو فلوموا ... ليس شىءٌ على الغرام بمجد
وتداويت من غـرام ملولٍ ... بهوى مُسعدٍ على العيش نجد
مسكرى إن شربت منه بلحظى ... بشهىٍّ من خمر خـديه صرد
إن أخسَّ القديمُ حظى فهـذا ... مجـزلٌ قسمتى ومورٍ زندى
وحديثى نفسى بأن سوف ينسينى ... شقائى بمـا يوافى ويسدى

لا تصدق مقالتى يا صـديقى ... واغتفر كذبة على غير عمد
أنا من مصر فى فلاة وان كا ... نت رياضا أعالج العيش وحدى
لابساً ثوب وحشة لاأرى الأخـ ... ـلاق يبلى من خلقهـا المسود
دائم الصمت مفرد الرأى والفكر ... ة لا أتقى الهموم بجـد
مقبلا مدبرا كما حار فى الصحـ ... ـراء من ضل عن طريق الرشد
عالما أن كل يوم سـيأتينى ... بأمر خافى المعـارف نكد
وسفاهاً أرى فرارىَ ممـا ... هو حتمٌ ما إن له من مـرد
تلك حالى على الحقيقة لا ما ... أتسلّى به من الزور جهدى
عبثٌ كلها الحيـاة وزور ... ومحال وباطل ليس يجدى

القطيعة

تناءت على قرب الديار السرائرُ ... فليس لمـا بيني وبينك آخر
لقد كان ظني أنّ لي منك وامقا ... على حين حفّت بي الحقود النوائر
فلما بدت لي نفرةُ الغدر منكُم ... رضيتُ بما تقضي به وهو جائر
فلا تعذلوني في الجفاء فإنني ... أنزّه قلبي أن يرى وهو صاغر
هويتك بالقلب البريء من الحجا ... وإنّ بالعقـل السليم لهاجر
تقلّص ظل الحب بعد امتداده ... وجفّ هوانا بعد إذ هو ناضر
أحالته أخلاقُ العقوق وغدره ... عهودا تبكّيها القلوب الذواكر
كأن الجوى واليأس والسهد والضنى ... ديونٌ على من ضاءه منك ناظر
على أنه سيان كربٌ وفرحة ... فكلٌّ تعفّيه الليـالي الدوائر
ستعلم أن الحسن ليس بدائم ... وأنّ العيون الزهر يوماً غوائر
ويصرف عنك الشيقون قلوبهم ... وتغضي غداً عنك اللحاظ الغوادر
كأني بهذا الحسن قد جف ماؤه ... وباخ ضياءٌ في المحاجر باهر
يحاول أن يسبي القلوبَ كعهده ... ويطلب أن تصبو وهن نوافر
ستبصرني جلدا على الدهر عارفا ... فليتك مثلي إن تقاضاك صابر[1]
وليتك إذ هُنّا على القلب لم نهن ... علينا ولكني على ذاك شاكر

---

(١) عارفاً أي صبوراً والمعنى أنك ستجدني صابراً على هجرك وغدرك فليتك تستطيع مثلي الصبر أن تقاضاك الدهر حسنك وبزك جمالك .

فإن تنحرف فالحسن جمٌّ وجوده ... وأهون بما منه لدينا نظائر
طوى الدهر ما بيني وبينك من هوى ... وليس لما يطوى زمانك ناشر
وما ندمي إلا على كلفي بكم ... فهل لي من تلك الجناية عاذر
نبذتك نبذ النعل رثّ أديمها ... وإني على أمثال ذاك لقادر
إذا ما أراد الله بالمرء رحمة ... فسهم الأدى عن مرشق الحظ جائر
لقد حاطت الأقدار نفسي من الذى ... تكيد وقد دارت عليك الدوائر
رويدك لا يهلكْ جهلك إنني ... رضيٌّ ولكنّي على الشر قادر
وإني لصلٌّ لينَ مسٌّ وإن لي ... لأنياب سوء ساندتها أظافر
وحسبك إمّا شئتُ ضرك شرّدٌ ... يباديك منها حيثما كنتَ ناحر
ولكنني أغضيتُ عنك تكرما ... وإن كثرت أوزاركم والجرائر
فرح غانما بالصفح ممن إذا رمى ... فلا تجبر الأيام ما هو كاسر
ومن عجب تأبى النسيب ضلالة ... وما ذاك للأحرار غيرك ضائر
فيا ليت شعري والعجائب جمة ... أيرضيك أن يُغرى بذمك شاعر ؟
أغرّك مني أنني أظهر الهوى ؟ ... أبى الزهوُ أن يبقى بعشك طائر ؟
فرُحت تبثّ الناس أخبار صبوتي ... وتزعم أني عاشق وتفاخر
رويدك لا تجعل هواي ذريعة ... لشيء ترجّيه كأنك تاجر
فجرتَ عيونَ الدمع فابك بأربع ... على حين يفتر العدو المناكر
أدرتَ رحى حرب عليك — طحينها ... عفافك — فانظرْ أي خطب تحاذر
وقل يرحم الله السكينة والمنى ... وخفضا وريفا أعجلته المقادر

البرح والخسارة

أهواك والحب داءٌ أيّما داءِ ... يا مسبلا حوله أذيالَ لألاءِ
خلقتُ للحسن عبّاداً أواجهه ... كعابد الشمس فى صبح وإمساء
يا ليت أنىَ أعمى لا دايل له ... أو ليت مافى الورى ما يفتن الرائى
عينىَ عينىَ لا بوركتما أبدا ... أطفئتما بالحشا أنيابَ رقشاء
ولوعميتُ إذا لاشتقت نوركما ... بقلب راع وفىٌّ غير نسّاء

* * *

أهبتُ وهناً بذكراكم فما عبأت ... شيئا بصبٍ بجنح الليل دعاء
وسلمتنى إلى الآمال قائلة ... عنى إلى أمل للروح غذاء (١)
« مالى وللزمن الآتى وأقربه ... منى إذا استثبتت عيناى كالّلاء
« سلنى إذا شئت عن ماضيك مبتدئا ... أروِّ قلبك منه أى إرواء
« عند الأمانىّ ما تبغى فإنّ لها ... عينا موكّلة بالمقبل النائى
« قداستوت فوق عرش الوهم حاكمة ... مثل المقادير فى منح وإكداء
« وما لها دون راجى عرفها حجب ... ولا مطال ولا إعراض أبّاء
« من لا تكلفه شيئا عوارفه ... فليس يبخل عن بذل وإيتاء
« وخلّفتنى على الأجداث أحرسها ... كالكلب يحرس ليلا عزّ أحياء (٢)

---

(١) أى الذكرى أسلمتنى إلى الأمل وقالت . إلخ والذكرى كما لا يخفى عملها فى الماضى وللآمال المستقبل .

(٢) أحياء جمع حى كما تقول مررت بحى من أحياء العرب .

« فليس يذكرنى الا أخو عـــدم ... قد صار من ظنه فى جدب صحراء
« والمرء ما بيننا حيران مضطرب ... من لهو وهم إلى أشـــباح جوفاء
« هذى تضاحكه طوراً وتخدعه ... وتلك تبكيه فى صبح إمساء
« قد أوسعتكم بنى حوّاء عيشتكم ... وطول غفلتكم من كل إزراء »

* * *

أين الحقيقة ؟ ألأرماس موطنها ؟ ... فذاك قلبىَ رمس بين أحنائى
ماضى حياتىَ أحلام ومقبلها ... غيبٌ وحاضرها فى كف خرقاء
كم حدثتنىَ نفسى وهى باكية ... عن الشباب وبسّامين أكفاء
وأذكـــرتنىَ أياما مسلسلة ... فى ظل وارفة الأظلال لفّـــاء
حيث الزمان ربيع والهوى أنفٌ ... والأرض صادحة بالعود والنّاء
تُجنى الكروم إذا آنتْ مقاطفها ... سمرَ العناقيد فى لفاء خضراء
يجرى النسيم بأنفاس الورود كما ... يجرى الرسول ببشرى القرب للنائى
يا حبذا عرفها والريح ساجية ... والنجم يلحظنا لحظات هوجاء
والنيل أجـــراه مجريه للذتنا ... من حولنا فلنا عرشٌ على الماء(١)
مطرزٌ بنجوم الليـــل قاطبة ... ومزبدٍ فى سماء الليل وضّاء(٢)
أطنابه حُفل الاثمار ، يانعـــة ... جلّت عن الوصف فى حسن واغراء
خمرى الحسان ولاحسنٌ كحسنهم ... ونقلىَ اللحظُ يشفى علة الداء (٣)
غبوقنا بين أغصـــان مهدّلة ... ومن صبوحىَ تقبيل الأحباء(٤)

---

(١) كان فى ذهنى لما كتبت هذه القصيدة جزيرة صغيرة بالنيل قضيت فيها أياماً .
(٢) مطرز وصف لعرش فى البيت الذى قبله ومزبد معطوف على نجوم ووضاء وصف لمزبد .
(٣) النقل ما يتفكه به على الشراب .
(٤) الغبوق شراب المساء والصبوح شراب الصباح .

إذا نشاء احتسيناها مصفّقة تُسنى لشاربها من كل سرّاء
أو لم نشأ لم نبع بالسكر لذتنا فى الصحو ما بين بيضاء وحمراء
فأين أين ليالىّ التى سلفت صارت حديثا كأخبار ابن دحداء
لا تدرك النفس منها حين تطلبها الا التفجّعَ أو لدغا بأحشاء
أضحت حياتىَ ربعاً مقفرا خربا من بعد ما عُمرت للفرح أفنانى
يا سوء منقلبٍ عن حسن مختبر كالصبح يعقبه إدجان ظلماء

* * *

بقيتَ يا كوكب الأيام مؤتلقا يزيدك الدهر ضوءاً فوق أضواء
ويا ربيع الهوى لا زلت فى حلل خضرٍ تباكرها سحبٌ بأنداء
تنضو وتلبس أفوافا محبّرة مستبدلا جُدداً من بعد أنضاء
فأنت لى ولآمالى وإن بعدت قوس الغمائم فى آفاق غمّائى
إقرأ كلامىَ وابسم حين تقرؤه وإن يكن لك تحبيرى وإنشائى
ولا تُرع لدموع بتُّ أنظمها وإن تكن عن ضرام بين أحنائى
ولستُ فاعلم أرجّى منك مرحمة يندى لها القلب فى أعقاب رمضاء
أحبكم ولو انى أستطيع إذاً بدّلتكم بالهوى والحب بغضائى
كما تبدّلنى من صحتى ألمـاً مرًّا وتوسعنى من كل ضراء
قد كنتُ أطرب للدنيا ويعجبنى فى رونق الحسن ماءٌ ليس كالماء
وكان يفتننى تهديلُ ورقاء تسمو إلى الغصن أو تهزيج حسناء
فالآن قد صوّح الغصنُ الذى صدحت عليه أطيارُ نفسى يوم نعمائى
وصرتُ لا شىء فى الدنيا أسرّ به ولا يفزّعنى دهرى بأرزاءِ
وصرت أنكر أيامى وينكرنى صفو اللذاذات من قصف وإصباء
إذا سمعتُ لريح الليل زمزمةً حسبتها نادباً ألحـان سرّائى

كالبحر نفسيَ لا مأوى ولا سكنٌ ... ولا قرار لها من فرط ضوضاء

أقول فى الصيف ويلى من سمائمه ... وفى الشتاء ألا بعداً لمشتائى

تمضى الليالى ولكن لا أحسّ لها ... ما كنت أعهد من نور وظلماء

فلا ندًى فوق خد الزهر يلثمه ... ولا يفوح له مسكىّ بوغاء

قد مات مثلىَ إلاّ صورة ثبتت ... نفسٌ قضت وهى فى جثمان أحياء

خطّ اسمَها الدهرُ فى قيد الردى فغدت ... لا تنفع الناس إلا يوم إحصاء

كأنما الشجر المخضرّ فى نظرى ... إذا دلفت له عيدان قصباء

وللنجـــوم بريق لا أفرّقه ... عن لحظ ميتة حسناء عذراء

فى أبحر من زجاج لا بهاء لها ... ما بين سوداء أو خضراء زرقاء(١)

حتى النهار وحتى الشمس أنكرها ... كأن فى نورها ديدانَ غبراء

طُردت فى الأرض من فردوس نعمائى ... طرد التى غرَّرت قدماً بحواء(٢)

فما أطيق نعيما إن ظفرت به ... بعد الذى بُزَّ عنى يوم إثرائى

أخاف حسنك يوماً أن يذكرنى ... عهداً مضى فيهيج الذكر سودائى

تغلغل السهم فى قلبى فإنْ نزعت ... كفٌّ قضيتُ فدع سهمى بأحشائى

هذى حياتى فقل لى كيف أنديها ... قد جلّ ما بىَ عن سلوى وتأساء

* * *

لكل شىء سكونٌ بعد فورته ... وكل عين إلى غمض وإغفـــاء

ألا ترى اليم تطغى فيه موجته ... تَقطّـــع القلب من هم وبأساء

حتى إذا بلغتْ مجهودَها فنيت ... من بعد جلجلة منها وضوضاء

كذاك للنفس فى بحر الردى سكن ... تلقى به راحة من بعد إعياء

---

(١) أبحر الزجاج المراد بها السماء .

(٢) فى الأساطير أن أبليس جاء حواء فى صورة حية وأغراها بالشجرة المحرمة — وكانت النتيجة أن طردت الحية وأزلت حواء وآدم إلى الأرض .

ظمأ النفس إلى المعرفة

أحس كأن الدهرَ عمرى وأننى ... أخو مغرق الأرضين بالفيضان
أقلّب طرفى فى السماء كطرفه ... وأرصد ما راعاه قبل زمانى
كلانا على بعد المسافة بيننا ... تلاقى على ألحاظه القمران
وأقرأ فى صحف السموات أسطرا ... بهن دنا خفاقة اللمعان
تخذتُ فضاء الله مثوى لخاطرى ... ليشرد فى الدنيا بغير عنان
يمر به مرّ البروق وينثنى ... وقد جهدته حِدّةُ الطيران
أعالج سرا لا يماط حجابه ... ومأربُ قلبى ذلكم وجنانى
وسعتُ لغات الريح والبحر خبرة ... وكل شهاب لامع الخفقان
ولكنه ما خير علمى وكلها ... ضمومٌ على السرّ المغيّب حانى
سئمت شرودَ الفكر فى غامض الفضا ... وهيض جناحاه من النّهضان
وعادت إلىّ النفس مهدودة القوى ... تئن من الإسفاف والشوّلان
تحن إلى ظلٍّ من الرخو وارف ... وطول جمامٍ رافه وليان
ومن لى بأن لا ترفع العينُ لحظها ... ولا تجتلى فى الناس أى هوان
غرضتُ بملك واسع لا يحده ... سوى أفق دان وليس بدان
أرونىَ قيدا يعرقُ الجسمَ مسّه ... ويُضوى كأضلاعٍ علىّ حوان

على لسان الأقدار

بأيدينـــــا قلوبكم لنـــا منها ألاعيبُ
وفينا الخير موجود ومنا الشر مجلوب
وما عن صرفنا معدى ولافى الأرض محجوب
نصرّف أمر دنيـــاكم بما فيـــه الأعاجيب
ولو شئنا لكان النصف لكن فيـــه تصعيب

الأقدار

دعوت بنات الليل فى أخرياته ... فلبّتنىّ الأقدار وهى غضاب
وإنى لأدرى أنكن ظوالم ... وأنك ظفر للزمان وناب
وأنّ الورى عبدانكن جزاؤهم ... على الصبر والشكر الجزيل عذاب
ألا ربّ مُلكٍ قد أقمتن ضلة ... وللظلم فيه زخرة وعباب
وكم وادع وثّبته وتركته ... حشاشته للحادثات نهاب
ومنتصف أندمته بعد حفزه ... وذى أربة قد ضاع منه صواب
وفدم غبىّ قد رفعت على الورى ... فسالت عليهم بالبلاء شعاب
وألجمت أفواه الأباة لأنهم ... لهم فى فكاك المرهقين طلاب
فعنى فإنى قد وسعتك خبرةً ... وما دوننا لو تعلمين حجاب
ولكنه ما ينفع المرء علمه ... وعلم الفتى بالحادثات عقاب
عفا الله عن جدٍّ شقينا بذنبه ... ولم يغن منه عندكن متاب
٭ يقولون فى الأقدار عدل ورحمة ... ومن أين علمى أنّ ذاك صواب
٭ أمن أجل أن المرء أقلر قادر ... يكون رحيما ؟ طاش ثم حساب
بنى آدم ذوقوا النكال لأنكم ... بنو من أتى ما ليس فيه معاب
ولا تفتأوا تثنون بالمين والهوى ... على رحمة الأقدار وهى كذاب

٭ البيتان للشاعر بيرون .

شفاعة الحُبّ

ألا ليت شعرى هل لما فات مرجع ... ألا زورة تروى الغليل وتنقع
ألا سلوة تشفى الفؤاد من الجوى ... وتبرئه إنى من الوجد موجع
ألا لبّ لى إلاّ تجلد برهة ... الا حال لى الا الأسى والتفجع
نشدتك بالحسن الذى راع سحرُه ... فؤادى وبالعقل الذى ليس يرجع
بعين يطير اللب عند سماعهـا ... ويثنى إلى الطرف بالدم يدمع
وبالدم يغلى فى عروقى وبالجوى ... وباليأس والنفس التى ليس تطمع
وبالشجن المضنى وبالسهد والأسى ... وبالأمل الذاوى الذى ليس ينفع
وبالحب إلاّ ما كبتّ حواسدى ... وأخرستَ عذّالا لهم فيك مطمع
وعدت إلى العهد الحميد ، لو انه ... إذا ما دعاك الشيّقُ الصب تسمع
ولا تلك مبكّى للفؤاد ومجزعاً ... وأنت له حالٍ من الروض ممرع
أرى ورق الآمال يذوى فروّه ... بقربك إنّ القرب لليأس مصرع
ومرنى إذا ما شئت أحيا وإن تشأ ... فمرنى أمت إنى لما اخترت طيع
ألا واسقنى خمراً بعينك إنهـا ... وإن أسقمت أشفى لدائى وأنجع
وإلا فقبّل كأس خمر وعاطنى ... لأشرب فيها قبلةً حين أكرع

مراجعة الحب

لا اليأس مجد ولا الآمال نافعة ... أخبثْ بعيش على الحالين مذموم

يا درة غصت فى لج الحياة لها ... أأنفض اليوم منها كف محروم؟

ما لى على الحب مسئوماً ألا رحموا ... دون الضلوع وجيبا غير مسئوم

ما لى كأنىَ أعمى لا دليل له ... إلاّ عصاه وسمع غير معصوم

نفسى تأبّى لكم إلاّ طواعية ... وأنت تأبى سوى ظلم وتجـذيم

أحبكم (وتحبونى) فما لكُم ... تجفون حتى يثير الظلم منظومى

إن كنت ذا عنف فالدهر ذو عنف ... لا رفق فيه ولا يصغى لمظلوم

يأتى الزمان على حبى وحسنكم ... وهل على الدهر ناج غير محطوم

كن كيف شئت وفيا أو أخا ملل ... لابد لى منك مثل الماء للهيم

فعد إلىّ يعد للعيش رونقه ... وتشرق الشمس فى أحناء حيزومى

أزت الطبيب لداء قد بُليت به ... فداوه باقتراب غير مفصوم

وذاك أحسن من ليل لبثت به ... شرابىَ المهل فى بستان زقّوم

لا ملامَ ولا عِتاب

ألومك لو أرى لوميك يجدى ... ولكن لا ملام ولا عتابا
وإن مزايل الصحب اختصارا ... لصنو للذى صبر احتسابا
دعوتك لا إلى الرعيا ولكن ... الى نأي يماطلنا الأيابا
وإنى من يرد عليك ودى ... إذا أركبته الشوس الصعابا
فقم صافق على التوديع كفى ... كما صافقتنى تبغى اقترابا
وإن هزتك عاطفة إلينا ... وجاذبك الحنين لنا جذابا
فلا تأكل على ودى بنانا ... ولا تقرع على ما فات نابا
وإن شعب الزمان لنا انصداعا ... على كرهى وكرهك الانشعابا
وقدرت المقادير اجتماعاً ... على إيثار كل الاغترابا
فلا تظهر لهذا الناس أنا ... قديماً قد تلابسنا صحابا
ولا تدع العيون إذا تلاقت ... تمزق عن تجاهلنا الحجابا
ومد إلى كفك فى فتور ... كأنك حامل فيها هضابا
ولا تعبس ولا تبسم للقيا ... سألقاها وأحتقب الثوابا
لقد أودى الهوى أو كاد منا ... ولا عطفا ولا رفقا أصابا
وجاد بنفسه أو كاد لولا ... وفاء لا يحب له الترابا
فان تدركه لا يهلك ويحيا ... وإلا لا ملام ولا عتابا

العاشق المعشوق

أعينك أن تمنى بتبريح لوعة ... وأن تعرف الوسواس كيف يكون
ويحزنني أن تسند القلب راحة ... كأنك بالقلب الشجي ضنين
ويؤلمني أن تقطع الليل ساهرا ... تسهدك الاشجان وهي جنون
اذا هزك الشوق اضطربت ولم تفه ... ونهنهت غرب الدمع وهو خؤون
وليل سهرناه سميرين تشتكي ... هواك . وأصغى والحديث شجون
تمر بنا الساعات تعدو كما عدا ... على الصخر سيل ما حواه وجين
فيا لك من ليل قصير وليته ... تطاول لو أن الزمان يعين
ويا ليتني الشاكي وليتك سامعي ... ولكن همي في الفؤاد دفين
أذعت لنا سراً شقينا بمثله ... زمانا وفي غصن الشبيبه لين
فيا ليتني لما ذوى العود وانحنى ... برئت ولكن الشقاء فنون
إذا شئت رويت المسامع بالذي ... لقيت ولكن الفؤاد ضمين
وكنتُ ،وقد يتناسميرين في الدجى ، ... أرقهما لكن أخاف أبين
ولوشئت أطربت الصحاب عشية ... ولكن قلبي يا سمير طعين
ومن لي بأن تشتاق ما أنا كاتم ... ولكن سري في الضلوع حصين
وما كل أيام الشباب حميدة ... ولا كل جرح إن نكأت يهون
إذا ما تحدى الشوق يوماً لما مضى ... فؤادي استهلت بالدموع شؤون
أساكت هذا الناس والقول حاضر ... ولي من غليلي زفرة وأنين

أنام على سرى ووجدى ساهر ... فما لشجونى الثائرات سكون
كلانا إذاً يا خل ضامن لوعة ... وكل على سر الفؤاد أمين
كلانا محب ليس يدرى حبيبه ... هواه وكل يا سمير غبين
كلانا له داء يداويه بالمنى ... وهل تنفع الآمال وهى ظنون
كلانا احتسى كأس الغرام بكرهه ... وكل عراه من هواه جنون
ولكننى شر الرفيقين قسمة ... وأشقاهما لولا تقول يمين[1]
شبابك ريّان وروضك ضاحك ... وأنت بتحقيق الرجاء قمين
ولكننى ماذا أرجى ولم يدع ... لى الدهر الا مهجة ستحين
ثقلت بأعباء الهموم وهضمنى ... مسالك عيش كلهن حزون
وما نظمى الأشعار إلا علالة ... لو ان سلوا بالقريض يكون
وما هى إلا برهة ثم ينثنى ... يكر مضيض فى الحشا وحنين
فصبراً طويلا انما هى رقدة ... وتذهلنى عما لقيت منون
وصبراً جميلا يا سمير ففى غد ... تسليك عن سحر الجفون جفون
تهيم بهذى ثم تسلو بغيرها ... ويصبيك من بعد الجبين جبين
فوطن على السلوان نفسك إننى ... خبير بأدواء القلوب طبين
ستعلم أن العيش حلم وأننا ... نيام ولو مد الرقاد سنون
وأنا كأهل الكهف نصحو ومانعى ... فتيلا ولو أن الرقاد قرون
كأن لم يمر السعد والنحس بالفتى ... ولا كر بيض فى الزمان وجون
ويركد صرف الدهر حتى كأنما ... له أجل تعدو عليه منون

---

(١) يمين أى يكذب .

الإنسانُ والغرُور

أقم وادعاً واصبر على الضيم والأذى ... فانك إنسان وجـدك آدم
وهبك على الدنيا سخطت وظلمها ... أتملك دفع الظلم والظلم لازم ؟
بنى آدم ما للغرور رمى بكم ... مراميه حتى غدا وهو حاكم
تظنون أن الأرض قد بسطت لكم ... ومن أجلكم تجرى الغمام الروائم
وأن النجوم الزهر عُلّقنَ زينة ... تقرُّ بها الألحاظ وهى هوائم
فما لكم لا تنظمون نثـيرها ... فيصبح منها حليكم والتمائم ؟

أشباح الماضي على جثة الأمس

— ١ —

أوشك الأصباح أن يمحو الدجى ... ورقاتُ الأمس ، لمّا تدفن
فاركبوا الريح اركبوها ما عسى ... صبرنا على النهـــار البيّن ! !
إننا كالليل يُفنينا الضحى ... ثم نحيا فى الظلام المدجـن

— ٢ —

أمطروا الدمع عليه لا النـــدى ... وانثروا الشعر عليه لا الزهور
وأجنّوه وإن كان صـــدى ... فسحة الآباد لا ضيق القبور

— ٣ —

ألوحى قد كان مولود الصباح ... ينسخ الليل بآيات فصـــاح
فاحملوا النعش وشقوا بالرياح ... كيدَ الليل إلى قـــبر الأبد

سحر الحب

أيا ساعة مُلّيت فيها بحسنه ... نشدتك إلا كرّ منك نظائر
وإنى لأدرى أن فى البعد راحة ... لمن تتصبّاه العيون السواحر
ولكننى جربت قربك والنوى ... فما قر لى بال ولا جف حابجر
ولا التذ طعمَ القرب قلبى ولا النوى ... ولا رقدت فى الحالتين الخواطر
وما أنا إلا كالمخادع نفسه ... وقد يخدع النفسَ الفتى وهو شاعر
تمر بنا كالحلم قصر طوله ... لذاذته حتى كأنك طائر
أأهواك أم أقلاك والله إننى ... لأجهل ما تطوى عليه الضمائر
وإنى لتعروفى لمرآك رجفة ... كما انتفض المذعور والحطب فاغر
وإنى لتعروفى لذكرك حنة ... كما حنّ للأهل الغريب المسافر
فأنت جحيمى فى الحياة وجنّتى ... وأنت عدوى والحبيب المؤازر
وأول شىء أنت يجرى بخاطرى ... وآخر شىء أنت يُجريه خاطر
ملأتَ شعابَ النفس حتى كظظتها ... وأخليتها فالنفس صحراءُ غامر
فواها على عهد السلو وطيبه ... وواها له ما أنّ أو حن ذاكر
حقيبةُ شر ذلك الحب بئس ما ... تحمّلنيه فى الحياة المقادر
أراه على لذاته ونعيمه ... يفاجئنا منه رميض وناعر
وهل تُشترى اللذات إلا بضعفها ... من الألم الدامى ومما نحاذر
وما مطلبى سحرُ العيون كأنها ... — إذا لامحت عينى — النجوم الزواهر

ولا نضرة الخد الأسيل كأنما ... غذته على الدهر الورود النواضر
ولا الثغر إمّا يستدير كأنما ... تهيّا للتقبيل والشوق ثائر
فقد يحرق اللحظ المضيء ويخنق الأ ... ريج وترديك الثغور الدوائر
ولكنما أبغي إذا ثار ثائرى ... فؤاداً أناجيه وعقلا أسامر
وقلباً إليه أستريح بدُخلتى ... وأفضى إليه بالأسى وأشاور
كما خفقت يوماً على الزهر نحلة ... وظلت تشاكيه الهوى وتسازر[1]
قضيتُ حياتى بين أثار من مضوا ... ففى حيثما سرّحت طرفى مقابر[2]
أولئك إخوانى الذين اصطفيتهم ... وآثرتهم بالود والقلب حاثر
فيا بؤس للحى الذى لا يروقه ... من الناس إلا من تضم الحفائر
أخادع نفسى فيهمُ وأغشها ... ويخدعنى منهم نصيح وماكر
وما لىَ شغلٌ فيهم غير أنه ... تُشابه خالى حالهم وتناظر
فيا زائراً أفديه بالنفس لو درى ... أغثنى وكن عونى إذا خان ناصر
وأدت حياتى فى شبابى مكرها ... وما امتلأت مما تحب النواظر
ولكنما بينى وبين مواردى ... حجاز وقد سُدّت علىّ المصادر
فعد لى فإنى لست أملك مذهبى ... وكن لى فإنى صادق العهد شاكر
وهبنى إذا ما شئت ميتا تزوره ... أليس لمن يقضى من الناس زائر ؟

---

(١) هذا البيت لشاعر انجليزى لا يحضرنى اسمه .
(٢) يريد الكتب .

الشوكة الجديدة

ياوردة الحسن القديم وشوكة القبح الجديد
كنا وكنتِ فما عدلت ولا ظلمتك بالصدود
قد كنت أهوى أن أراك وأن . أشمك كالورود
فيذودنى شوك شرعت شباته دون الخدود
ظلما كما قتل الحسين على ظمًى جند اليزيد
فالآن إذ ذهب الجمال وصوح الزمن الحميد
وسلا الفؤاد فلا حنين ولا بكاء ولا هجود
وارتد طرفى عن ذراك وأقصر الأمل المديد
أدعى (العزيز المازنى) ولا ألام على القصيد[1]
ذهب الغرام مع الجمال برغم قولى لا يبيد
ليس الخلود لذى الحياة بل الفناء هو الخلود
ويل لذى الحسن النضير من الزمان وما يكيد
إما استزاد من الجمال أصاب فى القبح المزيد
كاد الزمان لكم كما كدتم لذى القلب العميد
فاهنأ بشعر فى الخدود كأنه السهم السديد
ياجاحداً فضل الإله عليه ويحك من كنود
أشكر له أن صرت ليثاً ساكنا غاب الخدود

١) لمنى بيت شبيه بالشطر الأول ولست أذكره لأرويه .

مخلوق الخيال

تودد لا أني اليك فقير ... ولا أن بعداً عن ذراك عسيرُ
ولا تحسبن منحيك ودي لحاجة ... ولا أن سحراً في العيون يمور
رويدك ليس الحسن وقفاً عليكم ... وأكثر ما تملى الظنون غرور
وما كل حسن يشعف القلب سحره ... ولا كل ماء نافع وطهور
ولست بمعدوم النظير فتثنى ... تدل بما منه النظير كثير
كذلك ليس البدر في الكون واحدا ... فثم شموس غيره ويدور
ولكنني مثلت للحسن صورة ... وأنت لها دون الأنام نظير
فلا تحسبن أني لبعدك موجع ... ولا أن قربي منك فيه سرور
بحسبي حسن صورته خواطري ... له دون أحناء الضلوع سفور
إذا استوحش القلب الكليم فإنه ... أنيس إذا عز الأنيس سمير
فان كنت قد فكرت في الهجر والقلى ... فإني على غدر الصحاب صبور
ستبقى لكم مني يد الدهر حنة ... وذلك إفك لو علمت وزور
فكل نضٍ في الحياة إلى ذوى ... وكل عليه الدائرات تدور
ستنسيني الأيام ما أنا واجد ... وتعفو كلوم للهوى وبثور
وأنساه حتى لست أذكر ما اسمه ... ويقفر من نور الوداد ضمير
بلى ربما حن الفؤاد اليكم ... وهاجت بصدري أنة وزفير
ولكنها ذكرى تمر وتنقضي ... وتذهلني عما تثير دهور
كذلك تنسانا وتنسى غرامنا ... إذا ما استرد العاريات معير
ولكن حسناً بزّ عنك نضير ... وأبدلت منه القبح وهو سطور
ستذكر هذا ما حييت وفي الحشا ... مضيض وفي القلب الكسير سعير

الشاعر المحتضر

فتى مزّق الحب المبرح قلبه ... كما مزّق الظلّ الضياءُ أياديا
قضى نحبه كالمزن فضنّ مدامعاً ... وخلّفن آثاراً لهن بواديا
ولما دنا منه الحمام ورنّقت ... منيتُه نادى الصفى المصافيا
وكاشفه والعين ينهل ماؤها ... بما كان يخفى من هوى ليس خافيا
وقال وضم الراحتين على يد ... « بقيتَ وبلغت الذى بت راجيا
سيسقى الردى قلبى عن الحسن سلوةً ... وإن كنتُ ما أعطيت منك مراديا
ولاعجبٌ أن يطفئ الموت غلّتى ... فلا بتّ حران الجوانح صاديا
ويصبح داءُ العالمين دوائيا
كتمتك حبى خشية الصد والقلى ... وحصّنته حتى رمى بى المراميا
بعدت كماضى الأمس عنى غاية ... وأقرب شىءٍ أنت مثوًى وثاويا
أضرّ بىَ الكتمان حتى عددتنى ... خليلا من التبريح والوجد خاليا
كأنىَ لم أحمل هواك ولم أبت ... أخا شغل يغرى بصدرى القوافيا
كأن قريضى لم تكن أنت سرّه ... وموحى معانيه العذاب البواقيا
مضى ما مضى لم أدر ما لذة الهوى ... ولا ذقتها الا بطرف خياليا
إذا لج بى شوقى قنيت حيائيا ... وظلت تباريح النزاع كما هيا
نجيى الصخورُ الصمّ أركب ظهرها ... وأفرغ فى أذن الظلام شكاتيا
وما بىَ حب الصخر والريح والدجى ... ولكنّ حالات لهن كحاليا
أرى فى أديم الطود عاث برأسه الـ ... ـخرابُ ووارى الضبابُ مثاليا

وفى الظلمة الطخياء من ظلمة الأسى ... مشابه تدريها القلوب صواليا
إذا الليل وارانى اطّرحت الأمانيا ... وكاد جمود الموت يصبى فؤاديا
وما كنت آبى الموت سهلا مذاقه ... لو انى إذا استأويته كان آويا
أرى الموتَ ظلَّ العيش يبسط تحته ... فيغشى أدانيه ويخطى الأعاليا
ألم تر الأشجار تمتد تحتها الـ ... ـظلال وتكسوالشمس منها النواصيا
فان تحتطب يوما تولَّ ظلالها ... وما إن يزيل الموت إلا الدياجيا
كذاك حياة الأفضلين فلا تلح ... إلى الظل وانظر نورها المتراميا
فيا مرحبا بالموت يثلج بردُه ... فؤادى وينسينى طويل عنائيا
تموت مع المرء الهموم ولن ترى ... ككأس الردى من علة العيش شافيا
ولست على شيء بآسٍ وإننى ... لأهجر ظهر الأرض جذلان راضيا
وما طال عمرى غير أن لواعجا ... أطلن عنائى فاجتويت مقاميا
أهاب بنا داعى الردى فترحموا ... وقولوا سقى الله القلوب الظواميا
وقم ودِّع الأرضين عنى فانني ... بقيد الردى المحتوم إلا لسانيا
وقل لجبال عاريات مخوفة ... تخال مواميهنَّ للجن واديا
الا أطلقى لى صوته والأغانيا ... وغذّى بذكراها الشجونَ النواميا
ألم تعِ عنه جنّةٌ عبقرية ... فقد كان يغشى مثلهن الفيافيا
وكيف تؤدى ما وعاه سماعها ... وما تحسن الجنان إلا التعاويا
وقل ياعيون الزهر غضى وأطرقى ... قضى عاشقٌ ، أجلى، العيون الروانيا
لقد كان فى روض الجمال خميلة ... سقتها دموع الحب لاالطل ساريا
فأعطشتُهـا حتى تصوّح عودها ... وألوى بها عصف الرياح سوافيا
لقد أفردته نفسه بين قومه ... فعاش خيالا بينهم متراثيا
وما كان إلا قوة أحدقت بها ... حوائل ضعف أمرها ليس باديا

فعاد وما يستطيع حملاً لساعة ... فكيف بأيام حملن لياليا
وما كان الا كالسحابة أفردت ... وقام بها الرعد المجلجل ناعيا
وما كان إلا موجة قد تحطمت ... على ساحل للعيش كم بات راغيا
وماغاله موت ولا هاضه كرى ... ولكن غدامن حلم ذا العيش صاحيا(1)
وما مات إلا الموت يا فجر فائتلق ... وحول سناء طلك المتلاليا
ولا غاب إلا فى الطبيعة أمه ... وقدماً أعارته الضلوع الحوانيا
فقوموا اسمعوا فى هزمة الرعد صوته ... وفى سجعة الغريد ما بات شاديا
وفى حيثما تبدو لنا القدرة التى ... دعته فلباها ولم يك عاصيا

* * *

أرى عينك اخضلت وعهدى بدمعها ... عصيا على ريب النوازل آبيا
لقد جل هذا الجفن عن عادة البكى ... وقد قل فيض الدمع إن كنت باكيا
تعز ولا ترخص لموتى أدمعاً ... أباة على سوم الغرام غواليا
سواء علينا إن طوتنى حفرتى ... أبكيتنا أم بات قلبك ساليا
بحسبى أنى سوف ألقى حاميا ... وأنت إلى جنبى تراعى فنائيا
ولا تحسبوا أنى قنعت تكرماً ... ولكن لأمر ما عقرت الأمانيا
وردد أنفاسا ترددن برهة ... وحشرجن حتى راح ما كان جائياً
فخان الحبيب الصبر فانقض فوقه ... ينادى مرمًّا لا يبالى المناديا
فلما رأى برق الأمانى خلبا ... غدا يستجير الدمع ما كان جاريا
رأى ما جناه حسنه ودلاله ... فقال أيا ويحى لقد صرت جانيا
عدتنى العوادى لم تكن بى غباوة ... ولكننى كنت أمرأ متغابيا

---

(1) هذه الأبيات للشاعر شلى

سواسية من يقتل النفس عامداً ومن يدع التبريح يقتل ظاميا
لبست جمالا من قريضك خالداً ورحت وقد ألبستك الموت ضافيا
وسوغتني من طيب ذكراك نفحة وسوغتك الآلام والدمع قانيا
لخلفتني عارى الجمال من التى تزين وكم أمسى وأصبح كاسيا
أعض على الماضى البنان تحسرا وهل ينفعنى اليوم عض بنانيا
لقد كنت أقسو هازلا ولربما غدا الهزل بابا للشقاء وداعيا
فبئست على طول التفرق رقة أحس بها تذكى على الدهر ناريا
ستبقى ويمضى من علقت وإن تمت فقد يحجب الغيم النجوم الدراريا
وأنك نور تستضىء به الدنا وغيرك ظل سوف يصبح فانيا
وأنك حسن ليس يبلى وغيره وديعة دهر يسترد العواريا
فيا آخذاً من دهره بنصيبه هنيئاً لك المجد الذى ليس ذاويا
وانى لأستسقيك كل دجنة وان كنت أحرى أن تبل فؤاديا

خواطر الظلام

أغرقتُ فى بحر الأسى الأجذالا ... ولففت فى أكفانها الآمالا
ونزلت فى وادى الهوى متفيئاً ... للموت ظلاً ينسخ الآجالا
كسف الجوى شمسَ الحياة فأظلمت ... وأعاد زاخر لجّها أوشالا
عصفت بنا نوبُ الليالى عصفة ... تركتْ حياتى بعدها أطلالها
وتجايشت لججُ الزمان بصدره ... وتصوّبت سيلاً إلىّ عضالا
فرعيتُ من دهرى زماناً موبئاً ... يُجنى السمومَ ويُنبت الأهوالا

يا شمس من يُحيى الليالى ساهراً ... ما بال ضوئك بارداً جفّالا
يرخى الظلامُ سدوله فتعينه ... وتُرى العيونَ سواده القتّالا
ما أنت إلا كاللذاذات التى ... جرّت عليها الأعصرُ الأذيالا
لَيضيئنا الماضى ولكن لا ترى ... لِشعاعه حرًّا ولا إشعالا

خلع الحمامُ على الظلام سكونه ... فكأنما همد الوجودُ كلالا
وتكنّف الدنيا سكونٌ ناطق ... ملء الصدور مهابة وجلالا
وكأنما هذى السماء تزينها ... زهرُ النجوم الفاتنات جمالا
سترٌ على الأكوان أسدله الهوى ... لمّا غفتْ وأفاضه سربالا
خلق الإله الكونَ أروع منظراً ... وأجلّ تصويراً وأبدع حالا

وكسا وجوهَ الأرض روضاً ضاحكاً ... حاك الرّبابُ ثيابه وأطالا
وحبا الطيورَ الصادحات وكورَها ... بين الرياض الوارفات ظلالا
وأقرَّ فى قاع البحار قطينَها ... والدودَ فى جوف الثرى الجوّالا(١)
واختصَّ آدم بالشقاء ونسلَه ... وحبـــاهم الآلام والآمالا

٥

يا أم ذى الدنيا ولستِ شبيهة ... بالله ربِّ المخطئين تعالى(٢)
ما تطلبين صلاتنا وصيامنـــا ... أو تنكرين جحودنا الأفضالا
سيّان عنـــدكِ حافظٌ ومضيِّع ... والمحسنون ومن أساء فعالا
كلٌّ يلوذ بظل عطفك دائباً ... بُوركت من أم تفيض كمالا
وكرمت حتى لست تدرين الهوى ... والبغـــض والأطماع والأوجالا
سبحانها عمـــا يُحس بنو الردى ... فلقـــد حماك جلالُك الأشغالا

٥

ستثور عاصفـــةُ الليالى ثورة ... تجلو الشكوكَ وتدفع الإشكالا
وتدق فوق خرائب الأديان نا ... قوسَ الردى وتحيلها أغفالا(٣)
وترد للمســـلوب حقاً بزّه ... إياه من منّى النفوس ضلالا
يا أم ذى الدنيا فلا تأسىْ على ... ما كان من جهل وإن يك طالا

---

(١) الجوال وصف للدود .
(٢) أم ذى الدنيا المراد بها الطبيعة .
(٣) المراد الأديان البائدة ومعنى البيت الثانى أن الأيام سترد الناس إلى الطبيعة .

عزاء الشعراء

سيعرقني يأسي ويغلبني ضنى ... يغذ بنفسي للبوار ويوجف
فلا تنفسوا شعراً على مفوفا ... له لو علمتم جانب متخوف
كما نظمت هذي الرياح غمائما ... لها من غروب الشمس وشي مطرف
يهددها مما يضم ممزق ... ومما يوشيها مذيب ومتلف
لنا الله من قوم نذيب نفوسنا ... ويجني سوانا ما نشور ونقطف
ويصدر عنا الناس ريا قلوبهم ... ونحن عطاشى بينهم نتلهف
نذوق شقاء العيش دون نعيمه ... على أننا بالعيش أدرى وأعرف
ولكنه ما أخطأتنا لذاذة ... إذا بلغ السؤل القريض المثقف
إذا هو سرى عن لهيف مفجع ... وآنس قلباً موحشاً يتشوف
فما نحفل الدنيا إذا جل ظلمها ... ونحن من الأيام والعيش ننصف

زهرة الشر
أو الحب

يا زهرة النحس والشقاء ووردة الكرب والهموم
تنفح أنفاسك المنايا وطيُّ أندائك السموم
ترود من حولك الأفاعى مطرورة النعاب للنعيم
العيش رمسٌ وأنت دودٌ يا فرحة الدود بالرميم

° ° °

يصدأ منها النهار حتى نخاله ليلنا البهيم
والليل من وقعها كفيف فكيف ينجاب أو يريم
لا يخصب الظنُّ حيث تنمو فالنفس من شرّها عقيم
تترك دون الحشا عراكا كما التقت بالقنا الخصوم
فان تكسّرنَ فى فؤاد أودى الذى يُضمر الخزيم
كأنما تثأر الليالى من الصبا وهو لا يدوم
توقد دون الضلوع ناراً طعامها النفس والجسوم
يا بؤس للحب كيف يُجنى من جنّة الحسن ذى الجحيم !
يا بؤس للناس هل تغنّوا بالبغض لو يحمد الذميم !
وليس فى البغض ما يعنّى وخطبُه ليس بالجسيم !

محاسبة النفس

أضعت شبابى بين حلم وغفلة ... وأنفقت عمرى فى الأمانى الكواذب
ولم يبق لى شىء وقد فاتنى الصبا ... وأدبر مثل السهم عن قوس ضارب
تعود الغصون الصفر خضراً وريفة ... مرنحة بعد الذوى والمعاطب
وليس لما يمضى من العمر مرجع ... ولا فرصة فاتت لها كر آيب
بلى زاد فى علمى وفهمى وفطنتى ... وحلمى أن جربت بعض التجارب
ولكن فى عزمى فلولا كثيرة ... تغادرنى فى العيش طوع الجواذب
وما خير علم فى الحياة وفطنة ... إذا حال ضعف العزم دون المطالب
كان لنا عمرين ، عمراً نريقه . ... وآخر مذخوراً لنا فى المغايب
ألا ليت عمر المرء يرقى كثوبه ... ويرقع منه جانب بعد جانب

لقديم الصبوات

أينعى يا زاهـــــراتى لقـــديم الصبـــوات
لم تزل ذكرى ليـــالى العـــــذاب السالفات
حيـــة بالذهـــن قد تبعث مســـــك النفحـــات
حـــين أهديت مثيـــلا تلك فى حسن شيات
لوضيء الصفحـــــات لـــؤلـــــؤى البسمات
يوســـــــفى القسمات نرجسى اللحظـــــات
صمـــد الدهـــر إليـــه وهـــو وعر السطوات
ما عسى طاقة ذى الحسن بمـــــاضى العزمات
فذوى الحسن ولمـــا يذو حـــــب الذاويات
يا زهور الشعر لا خنت زهـــور الوجنـــات
إن يكن أخلق حسن كان وحى الحسنـــات
فقديمـــاً كان غضاً ســـــحرى النسمات
وقديماً جادك الحسن بطـــــل الضحكات
أينعى فوق ذواه واحفظى عهـــد السقـــاه

عظة المحبوب

ألا عُدْ إلى العهد الذى كنت أحمدُ ... ولا تتركنّى فى العذاب أخلّدُ
هجرتك لا أنى سلوت هواكمُ ... ولكنما أخشى الذى بت أعبد
أحبك لكنى أخافك والهوى ... مخوفٌ وبعض الشر فى الخير يوجد
على أنه سيان قربك والنوى ... إذا لم يكن لى منكُم متــودد
يضاحكك الإخوان أنساً وغبطة ... فتلهو ويبكينى الأسى والتوجد
فكيف ملامى لاهياً لا يُحِسُّنا ... وأنّى على ما يوجع القلبَ مسْعِدُ
وهل نافعى أنى كتومٌ وأننى ... عيوف وأنّى صابرٌ متجلــد
ألا فى سبيل الله ليل سهرته ... ودمعى على الخدين سالك منضّد
سميرىَ وسواسى وصحبى خواطرٌ ... حوالك مثل الليل أو هى أسود
أخاف عليك الناسِ أن يلهجوا بنا ... وأكتم حتى عنك سرّى وأبعد
وهوّنَ عندى ما أعانى من الجوى ... يقينىَ أن البعد أحجى وأرشد
وكيف أرَجّى منك بلاً لغلّتى ... وصدرى على السر المبرح موصد
تفجّر بحرٌ بيننــا متزاخر ... تظل المنايا فيه تُرغى وتُرعد
أخاف علىَّ الهولَ إمّا ركبتُه ... وتجذبنى نفسى إليه وتورد
فأقبلُ والآمال فيك كثــيرة ... وأعرض والأهوال للنفس رُصّدُ
وأخشى الكرى إذ كل حلم مروّع ... وأخشى الردى إذ كل شىء مهدد
خلّت بك عنى الملهياتُ وإن تكن ... عطوفاً تصافى كل من يتــودد
تصادحُ أطيار القلوب سوى الذى ... له صدحةٌ تُعيي الورى وتَغرّدُ

ومثل نسيم الصبح أنت سماحة ... يقبّل ما يبـــدو له ويبردُ
ألم تر للأزهار كيف رواؤها ... وكيف غداً يجنى عليها التورّد
يروقك منها حسنها غير أنها ... تصوّح إن أمست تقلبها اليد
كذلك تذوى بعد حين فلا تكن ... لكل طلوبٍ غايةً ليس تبعد
ولا تمنح الود امرءا ليس أهله ... فما كل ماءٍ لامع الوجه مورد

عبث الحياة وباطلها

إلى شكرى

تبغى حيـــاة لا تحسُّ صروفها ... وتذمّ طول تصوّبٍ وتصعُّدِ
لهفى عليك وقد تخالجك الأسى ... وعلىّ من خلق الهموم الأوغد
إنا كلينا واجدٌ متجـــلد ... يخطو إلى الغايات خطو مقيّد
وكأنمـــا كتب الزمان حياتنا ... بدمٍ كحاشية الظلام الأربد
وكأنّ أسطرها لشدّةِ هولِ ما ... يحوين مرهوب الصلال الشرد
قد كنتُ أؤمن بالحياة وطيبها ... فى ظل أيام الشباب الأبرد
فاليوم أكفر بالنعيم كأننى ... أعمى يضل بمـــا به قد يهتدى
وأمدّ للدنيـــا يدا مبتورة ... وأزلّ حيث ثَبَتُّ عَثْرَ مُصَفَّدِ
وأروح أجنى الشوك غير مقلم ... ولكم قطفتُ جَنَى الغصون الميّد
عادت لياليا خريفاً كلها ... لهفى على ورق المنى المتبدد
ما خيرُ عيشٍ صوّحَتْ أفنانه ... وتساقطت أوراقهن على اليد
لكأنّ مَنْ شَمَلَ الوجود بعدله ... ما إنْ يباليا كأنْ لم نوجد
ماذا يفيد تسخّطى وتبرّمى ... بالعيش أم ماذا يفيد تجلدى
فاردد على مكروهها النفسَ التى ... ماتت وأنفاسٌ لها لم تخمد
وَاقْرِ الهمومَ إذا حضرْنَ قوافيا ... تنسيك ثقلَ ظلالهنّ الرُّكَّدِ
كالطفل يصرخ فى الظلام لعله ... ينسى مخاوفه إذا لم تطرد

حلم الشباب[1]

لنجيّ الهم يجتاب الكرى ملك ما طف حتى نزحا

* * *

حلم كان ولا كالحلم
يصل اللذات لى بالألم
كأغاريد الهوى المنصرم
ما رأت غرته شمس ضحى ليته أمهل حتى يصبحا

* * *

حدثتنى النفس لما أن بدا
كنجوم الليل وضاح السنى
بربيع غرد حلو الجنى
حاكه الحظ على قد المنى فكأنى كنت شمت البرحا

* * *

صوّحت ريحانتى الريحُ السموم
لم يقبل ثغرها خد النسيم
لا ولم تدر ابتسامات النعيم

---

(١) قيلت فى رثاء ابنة لى .

ورعاها الموت طوبى للردى ربح الصفقة منى ـــ ربحا

* * *

إيه يارحانة القلب الشجى
نورى فى روضة النور الوضى
وانفحينا بشذاك السرمدى
إننى أسلمت نفسى للأسى أجلكِ العمر وعفت الفرحا

الشاعر

يرى من ستور الغيب حتى كأنما ... يطالع فى سفر جليل المراقم
له خاطر يقظان ليس بنائم ... يجيش بأصداف اللآلى الكرائم
صقيل كخد الصبح سمح كنوره ... نقى كصوب العارض المتراكم
وروح كأن الكون من فرط رُجبها ... بها — قطرة فى زاخر متلاطم
ولحظ كأن البرق ريش سهامه ... يضىء حواشى كل أغبر قاتم
ولفظ كضوء الشمس فى مثل سيرها ... يسح بفيض العقل سح الغمائم
كأن رياضاً فى مثانى حروفه ... أرجن بأنفاس الثغور البواسم
يحمل خفاق النسيم حديثه ... ويركبه ظهر الرياح الهواجم
فتجريه فى أفواف كل خميلة ... وتنشده بين الربى والمخارم
وتلقيه أنداء على الزهر سحرة ... وتوحيه سجعاً فى صدور الحمائم
وترسله فى الجو صرخة آيس ... يجاوبها قصف الرعود الغواشم
وتطلعه فجراً على الناس واضحاً ... يريهم سبيل الحق بادى المعالم
وما الشعر إلا صرخة طال حبسها ... يرن صداها فى القلوب الكواتم
يرقرق أنداء العزاء على الأسى ... ويضرم طوراً خامدات العزائم

* * *

فيا روضة الحب التى طلها ندى ... الجمال ووشاها بنور المباسم
دعينى أنشق فى ظلالك عرفه ... فان حياتى ملؤه للخياشم
وإن شفائى عبرة لو هرقتها ... ولكن جفنى كالبطون العقائم
فان لم (يغثنى) الله فيك بسجعة ... شقيت بجمات العيون الظوالم
وفى الشعر للمفؤود سلوى وإنه ... ليغنيه عن صوب الدموع السواجم

إلى العقّاد

عباس أقصتك عن خلصانك الدار ... وأذهلتك عن الأحياء آثار
أذكر فديتك عهداً دوحه خضل ... مليته زمناً إذ أنت لى جار
كنا سماء وكان الود أنجمها ... فما دجى أفق أو ثار إعصار
وكان يسرى هلال الحب فى أفق ... هالانه فيه إعظام وإكبار
فزر أخاك على بعد بقافية ... كالطل تحيا به فى الروض أزهار
إنى وإن بتت الأيام وصلتنا ... بجمحة الشوق والتحنان زوار

إلى صديق

يحييك الفؤاد على التنائى ... كما يومى إلى القوم الغريق
أرقع بعدكم أثواب عيشى ... وكنت ونسجها بكم صفيق
وكنت أظنني طباً فلما ... وليت الداء. أعيتنى الخروق
وكنت إذا تمطى بى ظلام ... أقول لكل غاربة شروق
فصرت أهاب ضوء الشمس حتى ... كأن عروقه الليل الغسوق
فهل لى عندكم شوق كشوقى ... كأن القلب منه به حريق
ودادى ناشئ فاحنن عليه ... كما يحنو على الطفل الشفيق
بأخلاق كعهدها رقاق ... يضيق بها الزمان ولا تضيق
ولا تسلمه للأيام إنى ... أرى الأيام ديدنها العقوق
وصنه فى حجاب القلب مثلى ... يظل له بقلبينا علوق

أنشودة الشتاء

قد ذهب الحول بالربيع وبالصحو ... وجاء الشتاء مرهوبا
فأى أصواتك القدائم يا قلب ... أناجى بها الشآبيبا
وما انتفاعى باللحن أبعثه ... وليس من يسمع التطاريبا
أين ، وهل ينفع اللهيف أسى ... يزيد وجه الحياة تطييبا
غلائل قد نثرتها بيدى ... عن نور عيشى وعدت مسلوبا
أنا الذى كنت لو تصدقنى ... أكون شيئاً فى الدهر محسوباً
فصيرتنى الخطوب زافرة ... كما أثار الزمّار أنبوبا
أعجب للحظ هل مقسّمه ... أراده ويلنا أعاجيبا
أجزل من سهمة الرجاء لنا ... فكل شىء نراه مطلوبا
لكنه قد أخس قدرتنا ... يا ليت ما شاء كان مقلوبا
غنى أمانٍ وفقر مقدرة ... فلن ينال الفؤاد مرغوبا

الأسافل والأعالى

سأهدل كالحمائم فى رياض ... من الأحلام وارفة الظلال
وأصدح لا أبالى هل أصاخت ... لى الأرواح أم صم الرمال
ولست بخافض صوتى لأنى ... أرى الأسماع سكت عن مقالى
كفى الغريد لذة ما تغنى ... من الحسن المصور والجلال
ولم آسى على قوم أسفت ... بهم أحلامهم دون النعال
سيورق يا خليلى كل غصن ... سقاه الظامئون إلى الكمال
غصون بدائع من نبع صدق ... كريم الأصل محمود الأوالى
ستوتى كلها يوماً وتشدو ... على أفنانها طير الليالى
وهل شجراتنا إلا فروع ... نماها خير أصل فى الخوالى
فطر فى ظلها كالنحل واجمع ... بها ما اسطعت من شهد حلال
وأيقن أن سيذكرنا زمان ... سنسيه الأسافل بالأعالى

مناجاة الحسن

حثّا شرابهما فى ظل حسّان ... رياه ريحاننا فى مجلس الحان
ريا الحبيب ولا شىء كنفحته ... وهنا يهيج أطرابى وأشجانى
حثّا شرابهما حتى رأيتهما ... لا يسمعان وإن كانا يقولان
هما أثيران علانى على ظمأ ... وبالشراب على سرى يغوصان
ويضحكان إذا ما الخمر رنحنى ... دوارها واستوى سرى وإعلانى
ويعجبان لنسجى الزور أجعله ... ذريعة لطرير الحسن غيسانى
ويحسبانى مجاناً كلنهما ... لم يعرفا سخر أشجان وأحزان

. . . . . .

. . . . . .

يكاد يأكله باللحظ مبصره ... لو يستطيع رنوا لحظ ولهـان
ولفظه السحر إلا أنه كلم ... ولحظه الخلد إلا أنه جانى
وجه مضىء من الفردوس مخرجه ... ملء النواظر من حسن وإحسان
وقال صف ليـلتى هذى مجملها ... نفسى فداؤك من راج ومنان
أهبت بالشعر فاستفتحت مغلقه ... كنجمة الصبح تحدو نوره ألوانى
ولو وكلت إلى نفسى عييت بها ... لـكن دعوت فما أعيا بتبيان
سقيا ورعيا لها من ليلة سلفت ... عادت رطابا بها أعواد أغصانى
إذ ملعبى الناس ألهو غير محتشم ... بأرجل منهم طراً وأذقان

سقيتنى الحب إذ نحسو على مهل ... ألذ ما يتحساه حبيبان

وظلت ترشقنى باللحظ عن عرض ... فأتقيك بأغضاءات غفلان

وأصرف الفكر عنكم بالمزاح عسى ... أفىء يوما إلى رشدى ورجحانى

وأدعى أن ضنئى سالبى رشدى ... كيما ألهى الحشا عن حسن مفتان

وياسمين شممناه مناقلة ... نشقته ونشقت الحسن فى آن

كنا وكنت كسجب بينها قمر ... فمزقت شملنا أرواح غيران

أو كالضياء رمى نجم وشائعه ... من بين أوراق أغصان وأفنان

راخت ليالى النوى أوتار عيدانى ... يالهف نفسى على جنكى وعيدانى

يا ليلة لى منه لست ذاكرها ... ألا استهلت بصوب الدمع أجفانى

بعد السلو تعود القلب صبوته ... ياليت ما عاد منها كان أخطانى

كم ليلة بعدها كابدتها سهراً ... وكل هم بها لى منه زوجان

كالبحر حين تهب الريح عاصفة ، ... صدرى ، ويخبط بطنانا بظهران

يا موقد النار فى قلبى وتاركها ... تكوى حشاى وتوهى صرح بنيانى

حتى غدوت وألفاظى لها وقدٌ ... كأنما هى من أحشاء بركان

برد بقربك نيرانى فإن لها ... شبّاً كأن له تخبيط شيطان

عجلت بالهجر يا موفى على أملى ... ويا سقامى ووسواسى وشغلانى

وليلتان هما لى منك واحدة ... عفواً وأخرى على وعد ونشدان

أليلتان جزائى منك أجلهما ... بعدٌ على حسرات إثر إحسان

مسافة البيت لا شهر ولا سنة ... لكن دقائق تعدو ذات أمعان

أ إن دعوتك للرعيا فلا عجل ... وإن دعوت إلى مطل فلا وانى

تحدث الناس عما فيك من حسن ... هيهات ذاك لقلب الواله العانى

يا جنة العين ما للأرض ملبسة ... سوابغا من سدى هم وأحزان

يا روضة من رياض الحسن فاتنة ... تموج باليانع النائى وبالدانى
فيك الشقائق للجانى تميل على ... طرائف من أقاح وسط ريحان
ونرجس فوقهـا يسطو بلحظته ... على فؤاد طويل البث قرحان
قد كان ظنى أنى قد ملأت يدى ... هيهات ذاك حرمنا أى حرمان
أتم طيباً وحسناً منك ما نظرت ... عينى ولا سمعت فى الدهر آذانى
ولا أتم أسى منى ولا كمدا ... يا صاعقى بجمال ما له ثانى
ياحسن كم من أخى حسن كلفت به ... قد سار سيرك فى صد وهجران
لما برمت به فارقته جذلا ... وكف دمعى عن سح وتهتان
لـكن أبت ذاك أيات لحسنك لم ... تترك سوى سبل إقرار وإذعان
أهون عليك بمفتون وشقوته ... إذا لهوت بأكباد وأذهان

الأزاهير الميتة

أجِلْ في حياتي الطرف تبصرْ رسومها ... دوائرَ عفّاها الليالي الدوائرُ
تولت ليالي السعد وهي حميدة ... وجاءت ليالٍ بالنحوس مواقر
وأصبحت والآمال حولي ذوابلٌ ... تساقطُ أوراق لها وأزاهر
يشاهقها البرق المضيء عشية ... وتهفو بها الأرواح وهي ثوائر
وعُرّيَتِ الأفنان من ورق الصبا ... وعافت ذَوَاها الصادحات الطوائر
فما ينتحيها غير غربان شقوة ... لهن نعيقٌ فوقها متطاير
فأين زهور الحب يا طول حسرتي ؟ ... وأين أزاهير الشباب النواضرُ
وأين أزاهير السرور كأنها ... تحيي الفتى والعمر قينان ناضر
وأين أزهير القناعة والرضى ؟ ... دهتها صروف بالسموم قواطر
وأين زهور الصبر والأمن والمنى ؟ ... زوتها عن العين الهموم الزواخر
طواها زمان ليس ينشر ماطوى ... فلن تجتليها يالهيف النواظر
وغابت فغاب الأمن والخير كله ... ودارت على رَوْق الحياة الدوائر
ثوت حيث لا شمسٌ ترد حياتها ... إليها ولا صوب الغمائم ناصر
أفي كل يوم زهرة لي غضة ... تموت فأبكيها ودهريَ ساخر
تساقطُ أزهارُ الحياة على يدي ... وقلبيَ مقروحٌ وصدريَ واغر
كأن وباءً عاث فيها فلم تكد ... تنوّر حتى أعجلتها المقادر
ولا خير في عيش إذا كان مجدبا ... بواطنه مصفرة والظواهر
إذا مرَّ بي يوم حميد ، وربما ... تبسّم في الليل النجوم الزواهر

تلفّت حولى باحثاً عن شبيبتى ... وأزهارها والدمع فى الجفن حائر
تَقطّعُ أحشائى إذا ما افتقدتها ... ويضرم أنفاسى الحنين المخامر
وبيضاءَ من زهر العفاف فقدتها ... وبالرغم منى أن قلبىَ ذاكر(١)
فغيّبها قبرُ الفؤاد وجادها ... بصيّبه جفنٌ على الدهر ماطر
بكينا عليها حقبة ثم ردّنا ... إلى الصبر دهرٌ باللمّات زاجر
وما عجبٌ أنّ المنايا علقنَها ... وكرَّ عليها والدهر جائر
وكيف أرجى أن تدوم وقد مضت ... بأندادها عندى المنايا البواكر
وإن محالا أن تدوم وحيدة ... وإن سفاها ما تريق المحاجر
وإنّ ضلالا ندبُ ما ليس راجعاً ... وإنّ عناءً ما تحن الضمائر
سيمضى وان طال الزمان بى الردى ... وتذهلنى عما افتقدت المقابر

(١) المراد ببيضاء من زهر العفاف ابنة له ماتت .

زهرة الصخر

آنستنى بالأمل المغرى ... يا موحشى بالنظر الشزر
أعوذ من ذكريك بالصبر ... وأين منى راحةُ الصبر
يا نجمَ أرضى يا سماء الهوى ... تومض فيها أنجم السحر
خواطرى السوداءُ مغروسة ... فى الذهن ، كالسرحة ، والصدر
تسودّ منها الشمس رأدَ الضحى ... فالعيش ليلٌ سابغ الستر
مالى أرى كفىَ مملوءة ... من كل ما أكره من دهرى
لكنها خالية مما عسى ... يحلى مذاقَ الألم المرّ
يا مُجرىَ النهر إلى البحر ... ومُسقط الطلّ على الزهر
وجامعا بين الثرى والحيا ... عند التياح الأرض للقطر
وناظماً فى خيط هذا الدجى ... عقودَ هذى الأنجم الزهر
وواهبَ الموجة صدرَ اختها ... والأغصنَ الميّس للطير
أطفئْ بماء القرب جمرَ الهوى ... وزوّج الحسن من الشعر
لا غرقَ الساعات فى قبلة ... من خدّه الواضح والثغر
ما ذا ترى يمنعنى قربه ... لو أنّ فى العالم من يدرى
أبيننا بحرٌ يردّ الخُطى ... أم تقذف النيرانُ بالجمر
أم سُدّت الأرضُ فلا وجهةٌ ... أم حال ظلّ الموت أن نسرى ؟
أينقضى العمرُ وما صافحت ... عيناى عينيه بلا ذعر

ولا جرى فى مسمعى صوتُه ... جَرَىَ نمير الماء فى الغُدُر
ولا تخطَّيتُ ولو ظلَّه ... فما انتفاعى اليومَ بالعمر ؟
حتَّى الكرى يُبديه لى مبهماً ... كالزهر فى أكمامه الخضر
أو حاجب الشمس إذا ما بدا ... بين غمام ؛ دَنِف الذِّر
كأنما الأحلام أستاره ... تصرف عنه نظر الفكر
أدعوه فى الأحلام حلو الجنى ... على سبيل الهزء والسخر
وقد أناديه ، وما أفترى ، ... يا زهرةً صيغت من الصخر
وربما سمّيته باسمه ... كأنما لا شك فى الأمر
إن كنتَ حقّا حلُما ساحراً ... فهل ترى أحلم بالهجر
وبالأسى والحرُقات التى ... ما أطفأتها عبرة تجرى
راح على عطفىَ ثوبُ الأسى ... مُحلولك المجول والصدر
وآدنى ثِقل الهوى إنه ... حقيبةٌ ملأى من الشر
وعمّق الأحزانَ أنى أرى ... نفسىَ فى مثل دجى القبر
يا ليت للزفرة روحاً إذا ... أصعدتُها تكشف عن سرى
لا غايةٌ لى أتعزّى بها ... حيناً ولا أقنع بالذكر
هو المنى لو أن لى حيلةً ... آه على ملتمسى الوعر
يا ملءَ عينى وفؤادى أما ... تَنَفَّسُ البلجةُ فى الفجر
ذكرك نسكٌ لىَ تحت الدجى ... فأين محرابىَ واحرّى !
وأين لا أين بَخور الهوى ... أنفاسك القُطريّة النّشر
يا ربِّ إنى حافلٌ أمرَهُ ... ولا أراه حافلا أمرى
لم تقض لى منه سوى حبّه ... وذا قضاءٌ بينُ الجور
فازدحم القلبُ باحبابه ... مثل ازدحام الرأس بالشَّعر

فليتنى كان لحبى صدّى يُبيته منى على ذكر
ياشقوةَ العاشق أمسى وما يحسّه المعشوقُ أو يدرى
وهل يفيد الصب أن يشتكى فى شعره طورا وفى النثر
كأننى إذ أتشكّى الهوى محدّثٌ نفسىَ فى الجهر
إنْ هىَ إلاّ أسطرٌ قلما يعبرها واضيعةَ الشعر(١)
دفنت فيها كل ما مرّ بى وهل لما يُدفن من نشر
ما أنهأل الآمال زاداً وما أخونَها فى موقف النصر
من زاحف الأيام فى جيشها فيالطلى كرَّ على البُتر
ومن أبى غيرَ المنى حيلةً أسلمه الحظّ إلى العثر

(١) يعبر أى يقرأ .

إكليل الشوك (١)

أجوب فيافى العيش سدمان حائراً ... ومالى من لفح الزمان مقيل
لقد طال بى التسيار حتى أملنى ... ولو أن ألوان السماء شكول
يسوّد شجوى كل ما أنا مبصر ... فكل سناء قد عراه ذبول
يقيدنى ثقل الهموم إلى الثرى ... فليس إلى السعى الجليل سبيل
كنسر يريد النهض لا يستطيعه ... وهيهات منه والجناح ثقيل
وليل كأن الموت أرخى ظلاله ... عليه فتامور الظلام قتيل
إذا عن فيه البرق كالخيط أبصرت ... غياهبه الألحاظ كيف تصول
وإن هبت الأرواح من رقداتها ... حسبت الدنا جذت لهن أصول
تجسم لى. وهمى به فحسبتنى ... أرى حلماً تنهار منه عقول
كأن الربيع الطلق جاد بنفسه ... وغال قوى هذى الطبيعة غول
فلا الصبح مرجو ولا الليل منته ... ولا للنفوس الحائرات دليل
وأبصرت روضاً هائج النبت كظه ... وجلله شوك عليه طويل
تناولت منه شوكة ولففتها ... لرأسى إكليلا وذاك يهول
فظل يضج الناس إذ يبصرونني ... ويضحك منى عالم وجهول
ويلتف حولى صبية يعبثون بى ... ويغضى حياء صاحب وخليل
مضيت فلم أنهر صبياً مرهقاً ... ولم أحفل الشياب كيف تقول
وفى أذنى صوت ندى يحثنى ... يميد بعطفى حسنه ويميل
أشق به هذا الأنام كأنهم ... وما أطنبوا فيه الغداة فضول

(١) فكرة تكليل الرأس بالشوك فى الحلم للشاعر تنسون فيما أظن على إنى راجعت ديوانه فلم أعثر بها إما لورودها فى غضون قصائده الطويلة أو لأنى لم أستطع التدقيق فى البحث مع كثرة الشواغل . وقد أكون مخطئاً فى نسبتها إليه .

الموت ثمرة الحياة

فى رثاء صديقنا المرحوم محمد أفندى عبد الرحيم .

أناديك لو رد النداء رميم ... وأبكيك لو أجدى عليك سجيم

وهل يحفل الميت الذى غاله الردى . ... سلاه خليل أم بكاه حميم

وياليت لى دمعاً عليك أريقه ... ولكن جفنى يا أخىّ عقيم

سأبكى عليك الناس حتى تخالهم ... يتامى دهاهم يوم بنت عظيم

وماذا يفيد الميت فى القبر قد ثوى ... دموع على الأيام ليس تدوم

وهبها على الأيام سحت غمائما ... أيرجع ميتاً صوبها فيقوم

وكيف أجازى طيب عهدك بالبكى ... ولو أن عينى بالدماء سجوم

فبعدا لهذا العيش بعد فراقكم ... فليس لعيش بنت عنه نعيم

ولا مرحباً بالدار لست قطينها ... ولو أن آجر البناء نجوم

عرفتك والأيام بيض حميدة ... فصرت وأيامى لبعدك شيم

كأنا الألى متنا ، وهل يألم الردى ... سوى الحى لا الفانى فذاك سليم

وليس غبين القوم من غاله الردى ... ولكن من يخطيه فهو مقيم

ولو خير الأموات ما اختار واحد ... حياة ، ولا قال الحمام ذميم

يروع الفتى ذكر الحمام ووقعه ... ويرتاع من ذكر الحياة رميم

خلقنا وما ندرى لأية غاية ، ... على الموت منا هجمة وقدوم

وكل إمرىء فى العيش طالب غاية ... ومن خلفه هذا الحمام غريم

فيا شقوة الإنسان يجنيه سعيه ... ثمار الردى المنشوء وهو نعيم

ولم أر مثل العيش أزهاره الردى ... ولا عاصفا كالموت وهو نسيم
كذبتك لم أجزع عليك وقد رمى ... فؤادك من نبل القضاء ظلوم
نجوت من الدنيا نجاء نفسته ... عليك ولو أن الفراق أليم
تمر الليالى لا تحس صروفها ... فياليتنى فى الهالكين قديم
كأنك ما مادت بعطفيك فرحة ... ولا جشأت دون الضلوع هموم
ولم تك فى الدنيا لقلبي مطربا ... ولا صرت خطبا ضاق عنه خريم
كأنك ما دبت بك الرجل مرة ... لمأرب عيش تبتغى وتروم
كأنك ما آذاك بـــرد ولا لظى ... ولا كرّ من بعد النهار بهيم
ولا أطرف الخلان فى سامر لهم ... فصيح ولا عاطى السلاف نديم
كأنك لم تخلق سوى أن أكبدا ... ذواكر تفريها عليك غموم
سقيت الردى فى ميعة العمر والصبا ... وأوكى على مافى العياب أثيم
فيا ويح للأنسان يحيا وينقضى ... كأن لم تورثه الحياة رؤوم
وما نحن الا الهاجمون على الردى ... فنفس الفتى عون له وخصيم
وكل إمرىء يحدوه للموت حينه ... وللموت جذب لو فطنت وخيم
وما أحد باق وسوف يضمنا ... وإياك بطن الأرض وهى جسوم
لقد كان ظنى أن يقدمنى الردى ... عليك ولـكن الزمان لئيم

وحشة الحياة

تلاقيتُ والدنيا لقـــاء لفرقة ... وبالرغم من أنفى اللقا والتفرقُ
وعُرِّيتُ من أهلى صبيا فلم أذق ... حنان أب يُرعى علىّ ويشفق
فما مصعدٌ فى شاهقات من الذرى ... بأكثر منى وحشة وهو مُعنق
فصادقتُ نفسى فى الحياة كما خلا ... بمـــزماره راع أملَّته أينق
أوازن بين الخير والشر تارة ... وهيهات ! أعيانى بظنى التعلق
وما بىّ من ذل ولا عجرفية ... ولا أنا أخشى كيف كنت وأفرق
وإنى لأدرى أن للعمر نهجه ... وأن حياة المرء ثوب سيخلق
ولو أننى خُيِّرتُ ما اخترت لبسه ... ولا شـــاقنى تحبيره والتنوّق
ولو أن نفسى خُيِّرتْ فى طلابها ... لكان لها فوق الحياة مُحلّق
وما أزدرى أبنـــاء آدم إنّ بى ... حقارتهم والندّ بالنـــد ألحق

الطفولة

رعى الله أيام الطفولة إنها ... على جهلها أحلى وأهنأ ماليا
ليالى أظن الكون إرثى وأننى ... أعير النجوم الزهر نورا بهائياً
وأحسب بطن الأرض واليم والدجى ... مثاوى للجن المخوف خوافيا
أفيض على ما تأخذ العين جرمه ... وأفضى إليه بالشعور ، حياتنا
إذا أذنيت نفسى صرخت ولم أبل ... وداويت نفسى فى الأسى ببكائيا
وما كنت أدرى الهم كيف مذاقه ... ولا كان شىء عازبا عن رجائيا
ولا كنت أكسو النفس ثوب مخاوف ... وأزعجها من حيث تنشى الأمانيا
يضاحك ثغرى كل ثغر تودداً ... ويبدى حنانا من يرانى شاكيا
ويلفى بى الناس السرور كأنما ... برا الله من كل القلوب فؤاديا
ولى سهمة من كل لهو كأنما ... تبارى الورى أن يبلغونى مراديا
فيارب أوزعنى على ما سلبتنى ... وأبدلتنى ، صبراً يوازى مصابيا
فقد بزت الأيام عنى مطاريا ... وقد هدمت أيدى الخطوب بنائيا
وأغرقنى فى لجة بعد لجة ... من اليأس دهر لا يبالى بلائيا
ويوشك أن يخبو شهاب شبيبته ... إذا ما خبا لم يلف فى الدهر واريا
وأثقلنى همى وأقعدنى فما ... أصعد طرفى مرة فى سمائيا
بليت كما تبلى الطلول وهل ترى ... على عنت الأيام يا قلب ناجيا

عالم الكرى وعالم اليقظة

قد وجدت السهد أهدى للأسى ... ووجدت النوم أشجى للحشى
شد ما يظلمنا الدهر أفى ... يقظة دنيا وأخرى فى الكرى
ويل هذا القلب من صرفهما ... لا الكرى أمن ولا السهد حمى
الردى إن كان لا منجى الردى ... إنه للنفس غوث ونجا
إن للأحلام أمّا طرقت ... نفساً مرا ودمعاً ولظى
كم غدا الخاطر فى يقظته ... حاملا منها كأجبال الصفا
كم غدونا نشتكى من بعدها ... نغرة الجرح الذى كان أوى
شاطرتنا عيشنا فيما مضى ... فهى بعض ما طوى منا البلى !
أتقيها والكرى يقذف بى ... وأغض الطرف والقلب يرى
وعلى ما عذبت أو ملحت ... حرقة الصدر نصيبى والظما
كلما قلنا نسينا قدحت ... من دماء القلب نيران الأسى
خلق المقدار منها عالما ... يقهر النفس بسلطان الجوى
يا بنات النوم مالى أرتعى ... فى حماك الهم ممرور الجنى
أبنات النوم تسطو فى الكرى ... وبنات الدهر تسطو بالأذى
أين يا سائقنا أين بنا ... شد ما أنهكنا طول السرى

إلى رجل يشتمنا

رفقاً بنفسك إنّنى رجـلُ ... لا بغض فى قلبى لمن جهلوا
حُسْنُ الكراهةِ فى تبادلهـا ... لا أن ينوءَ بثقلها رجـلُ
فاقْلَ الذين إذا ثَلَبْتَهُمُ ... أضنى نفوسَهُمُ بك الشُّغُلُ
إنّى لآنفُ أنْ أسِفَّ الى ... أمـرٍ سيعقبنى له خجـل

إلى مُدِلّ بجماله

يا قمراً لا يعرف الأفولا
كلُّ سَنًى لابدّ أن يحولا
ووردةً لم تعهدِ أن يحولا
مَلاّكِ ربّى عُمْرَكِ القليلا
أهْوِنْ بخطب يَهَبُ البديلا
ما أكثر الورد كما قد قيلا

اللحظ المصروف

يا صارفاً لحظه عنى على عجل ... أما ترانى أهلاً أنْ تراعينى

قسمتَ لحظك بين اثنين مُختبَل ... وهائم بسواكم غير مغبون

أوْلاهُمَا من أذاب الحب منطقَه ... وهو القدير على شرح وتبيين

أرْدُدْ إلىّ لحاظاً قُوتُها أبدا ... حبٌّ بعينى بادٍ غير مدفون

تبصرْ جمالك فى عينىّ مرتسما ... وقد ترى الدمعَ يخفيه إلى حين

وأجْرِ فى مسمعى صوتاً نَعِمْتُ به ... يكاد يُذهل عن عقل وعن دين

إخاله إذ يسكّ السمع لَيّنُهُ ... ألحانَ قلبى وقد باتتْ تناغينى

إلى صِدقي (١)

ايه عبد الرحمن أذكيت جمرا ... حيث قدّرت أن ستفرغ صبرا
أجد الدمع بعد نصحك أجرى ... فكأن التعذال للدمع أغرى
لست أبكى لفقدها علم الله ... وإن كانت المصيبة بكرا
وهى بعضى فان بكيتُ فعذر ... لأب ضاق بالرزية ضدرا
غير أن الهموم يفصح عنها الدمع ... كالزند كلما لُزّ أورى
ليس بدعا على ترقى الرزايا ... أن تبيت الشؤون أعظم غزرا
حذّقتنى الأيام ألحانَ حزن ... فنظمتُ الدموع للناس شعرا
وبرغمى سحّت سحائب دمعى ... وبكرهى عصيت للصبر أمرا
أرمضتنى الخطوبُ فى فدفد العيـ ... ـش ولم ألف غير دمعىَ قطرا
ما على من راخت قواه البلايا ... من ملام إنْ لم تجده مُمَرَّا
خلق الجفن للدموع مجازا ... لا سجونا لفيضهن وقبرا
فدع اللوم يا خليلى فإنى ... بى كبر أن أمنع الدمع كبرا
ليس هينا علىّ أن فتّ فردا ... أشتكى وحشة وآلم بترا
وعظيم علىّ قولك إنى ... واجد بعدها بديلا أغرا
لهفتى للفتاة فى وحشة القبـ ... ـر تعانى فيـــه السكون المرا
أبدا لا تزال تغشى ضميرى ... حسرات تصول طردا وكرا
ودموع عليك مسفوحة الوبل ... تزيد الفؤاد وقدا وحرا
فاذهبى كالربيع ولى وأبقى ... أثراً بيننا وإن كان ذكرا

(١) هو صديقنا الشاعر الفاضل عبدالرحمن افندى صدقى وهذه القصيدة رد على قصيدة له يعزينى بها عن ابنة لى ماتت .

الشعر والريح

صلاتى لربى الصمت فى معبد الدجى ... لمن عرشه نور الجلال الموطّف
ولـــكننى بالشعر يهضب مقولى ... ويعرض منى جانبا ليس يكشف
وأسكب فى أذن الزمان مواجدى ... وإن كانت الأضلاع منها تقصف
فلا تلح شعرى إنه الريح مرة ... تقر وأخرى لاتنى تتعجرف
وتلفحنا منها السموم وتارة ... يباديك منها جربياء وحرجف
وتزفر أحياناً وترقد مثلهـــا ... كذاك لشعرى سورة وتألف

فى الرثاء

قصيدة قلتها فى نفسى على لسان آخر وسألت صاحباً لى أن يرثينى بمثلها

قضى غير مأسوف عليه من الورى ... فتى غره فى العيش نظم القصائد
لقد كان كذاباً وكان منافقا ... وكان لئيم الطبع نزر المحامد
وكان خبيث النفس كالناس كلهم ... جباناً قليل الخير جم الحقائد
وقد كان مجنوناً تضاحكه المنى ... وفى ريقها سم الصلال الشوارد
فعاش وما واساه فى العيش واحد ... ومات ولم يحفل به غير واحد
وجاء إلى الدنيا على رغم أنفه ... وراح على كره الأمانى الشوارد
أراد خلود الذكر فى الأرض ضلة ... فأورده النسيان مر الموارد
ولم يبكه إذ مات إلا أجيرة ... لها زفرة لولا اللهى لم تصاعد
فلا دمع يروى يوم ولى ترابه ... وكيف يروى تربه غير واجد
فلا تندبوه إنه ليس بالأسى ... حقيقاً ولا أهل الهموم العوائد
وخلوه للديدان تأكل لحمه ... وذاك لعمرى خطب كل البوائد
ولا تزعجوا الديدان بالندب إنها ... هدىً لمن تطويه سود الملاحد
وقوموا ارقصوا قد فاز بالموت موجع ... بلى ربما كان الردى خير ضامد

فى العتاب

أين تلك العهود وافقن آمالى ... وأخلفن بعد ذاك الظنونا
أين لا أين موثق. ويمين ... رحم الله موثقا ويمينا
ضقت ذرعاً فإن تطق فأعنى ... أو فعنى فما أريد معينا
فلعل الزمان ينجز وعداً ... منه إن الزمان كان قمينا
أمل إن قضاه لى الله يوماً ... لا يجدنا لشكره جاحدينا
ولعل القنوط أحجى بمن لم ... يرمنكم على الوفاء ضمينا
يا خليلى وآثر العذر واعلم ... أن للوجد سورة وجنونا
وعزيز علىّ لوميك لكن ... كبر الحب أن يظل غبينا

الغزال الأعمى (١)

« جواباً على أبيات لصديقى الشاعر الجليل عبد الرحمن أفندى شكرى يشكو فيها إلى هما »

معينى على الأيام لاعت جوانحى ... شكاتك حتى ما أكاد أبين
وما أنا خير منك حالا وإنما ... أعالج ما ألقى عساه يهون
تتبع آثار الزمان نوازل ... يموت ويحيى إثرهن يقين
تغير آراء الفتى نكباته ... كأن الفتى فى كفهن عجين
فيا قرب ما يعدو على الرأى غيره ... وسرعان ما تبلى الظنون شجون
وأوجع ما ألقاه فى العيش حيرة ... كغزال سوء أعوزته عيون
وإنى لأدرى أن للخيط مذهبا ... وإن كنت لا أدريه كيف يكون
وإنى لأدرى أن العيش مطلبا ... ولكن غايات الحياة فنون
ولا علم لى ما اسم الذى أنا غازل ... ولا نفعه لو أن ذاك يبين
أتانى من لم أطلع قبل طلعه ... وقال وألقى الخيط وهو ركين
عليك به فاغزله إنك أكمه ... وما لك إلا شمأل ويمين
ولكننى قد يخطئ الخيط أصبعى ... وتطلبه كفاى وهو شطون
فأعلم أن الريح ثارت وأننى ... إذا لم يعنى الله سوف أحين
ولكنه أين المفر من الذى ... أخاف ومالى فى الحياة عيون

---

(١) لا أذكر من أين أخذت فكرة الغزال الأعمى والأغلب أنها ليست لأحد من الشعراء الكبار .

ليلة

يا أخلاى مرحبا وسلاما ... نعم ليل يضمنا فى نظام
بين كأس وإخوة ونعما ... ليلة بين إخوة ومدام
جاء هذا الربيع طلقا وجثم ... مثله بعد طول عهد الغمام
فسقى الأرض ريها وسقيم ... مهجتى ريها على الأيام
فرياض من الربيع حوال ... ورياض من ودنا البسام
ولعمرى لولاكم ما عبأنا ... برياض مفترة الأكمام
ورياض الربيع خضر ولكن ... أنتم وردها الزكى الشمام
قد يشم الصديق من نفحة الإخـ ... ـوان ما لا يشم قطر الرهام
أنتم إخوتى ربيعى لا ذاك ... فما للزمان طول مقام
لن يفوت الربيع عيشى ما أصـ ... ـفيتم الود أو رعيتم ذمامى
جمعتنا مودة فلبسنا ... ثوبها ضافيا على الأجسام
ليلتى هذم جدير سناها ... أن يشوق الفؤاد للإظلام
والليالى إذا أتتك بإحسا ... ن وطيب أطمعن فى الإنعام
فلتكن كرة إلى مثل هذا ... بعد أيام فترة وجمام
عندى الليل والنهار سواء ... حين تبدون فى سواد الظلام
ولئن عدت إننى لشكور ... أنشر الشكر فى القوافى الكرام
فاغتنم ذلك اللسان فإن الـ ... ـملك للألسن الفصاح الكلام

العقل والموت

ترى ينسخ الأصباح من ظلمة القبر ... ويكسر برد الموت محيى من الحر
أما هاتف يرثى لنفس يقيمها ... ويقعدها قولى لها الدهر لا أدرى
إذا التام بطن الأرض يوما على الفتى ... أيخطو الحمام العقل أم هو يصرع
وكيف توارى نوره مستطيلة ... عل حين ما ضاقت به الأرض أجمع

الليل والهم

قمر يحلم فى لج السما ... باهت اللألاء من طول السهد[1]
ساكن يسخر منا كلما ... قام بالقلب حنين وقعد
ما أضل القلب بالليل وما ... أضرب الوجد عليه بالسدد
ينفد الليل وإن طال وما ... لعباب الهم ذى اللج نفد[2]

---

(١) السهد أى السهاد وعدم النوم .
(٢) نفد أى نفاد وانتهاء .

الضمير

قد أفعل الشيء لا أبغي به أملا ... ولا أبالي الورى ما ذا يقولونا
همي ضميري فان أرضيته فعلى ... رأي العباد سلام المستخفيا

الملاح المسحور

أصبحت كالملاح صافح عينه ... ملء النواظر من رواء باهر
سحرته من حور البحار خريدة ... حرب النهى فغدا بغير مناصر
فمضى وقد ألهته عما يتقى ... من صخرة تردى ويم زاخر
بيناه يرمقها تعالت حوله ... لجج على لجج كطود سائر

مخاوف النفس

أقلى الدنا وأخاف فرقتها لشقيت بين المقت والزوَد
وأهاب نفسى أن تـكشف لى وأبيت من أمسى على ضمد
ويروعنى يأسى ويفزعنى أملى وأفرق من لقاء غد
ولرب جوهرة ظفرت بها فنفضت منها كف مرتعد
ورجعت أنظر هل بها أثر منها يظل يهيض من جلدى

حصاد عيش

يا حسن واحسرتا على غرر ... جودتها فيك بل على سور
أبليت فيك الصبا وجدته ... والعمر عهد الشباب والصغر
يا ناطق الحسن من لعاشقه ... بمنطق كالجمال مختصر
يا ضاحك الثغر من لعابسه ... بمثل سح الغمائم الهمر
ياناعم البال إن كاسفه ... موصول خيط الرجاء بالذكر
يا ساكن النفس إن ثائرها ... مضناك قد صار ميت الخبر
أقعده الهم عن مراغبه ... كالنسر هاضته رعشة الكبر
أنفاسه زفرة مقطعة ... كأنما قد أصيب بالبهر
يظل فى فحمة الدجى أبدا ... يرسل حيران رائد الفكر
كيف سعت بى إليكم قدمى ... لو نال رداً مسائل القدر
ترى تريه الأحلام عاشقه ... مزدهف اللب بين الصور
يا ليتنى فى الكرى أخوض له الغيب ... وأطوى مسافة الهجر
يطلع طيفى كالفجر منفلتا ... من الدجى فى غلائل السحر
أقول قد جاءك المعذب فى اليقظة ... والنوم وفى كل مدة العمر ! !
يا زهرة الحسن ما لنفحتها ... تخطئنا دون شائك الأبر
أليس للوجد والأسى أمد ... فكل شىء أراه ذا عمر
يا ثانى العطف بعض زهوك إن ... العيش ورد مرنق الصدر
أهون بشىء يلفه كفن ... وينطوى فى التراب والمدر

أدمية أنت لا حيـــاة بها لضل باغى الحياة فى الصور
لا عجب أن تـــكون ذا عنف يا لين الحسن يا أخا الحور
النفس مثل - الحياة معترك تسطو بها أنعم على أخر

* ° °

يا ستة غالها الزمان وما غالت سوانا حوائل العصر
ليت زمانا مضى تودعنا همومه العائدات بالذكر
أوليت ينسى الفتى حوادثه جمعاء حادى الروحات والبكر
يستدبر الحول غير ذاكره مستقبلا غيره بلا حذر
حتى كأن لم يكن ولا طرق ألد هر ذراه بالصفو والـــكدر
خلى غبار الأسى لنا ومضى عام بغير الأهوال لم يدر
مهنئى بالجديد من زمنى خلفنى العـــام غير ذى وطر
خلفنى متعبـــاً أئن من البر ح ولا أستقر من ضجرى
مغرورق العين غير فائضها ما أوجع الدمع غير منهمر
منتفضاً لا أزال ألتمس الشمس وهيهات لا سوى القرر
حصاد عيشى الهشيم وا أسفى على الرطيب الرفيف من شجرى
ذاك فهل لى فى مقبل عوض من مدبر بالأذاة منحسر
ينشر لى لذتى كما ينشر الصيف بعيد الشتاء والمطر
فتمرح النفس فى رياض هوى حوافل بالثمار والزهر
وتسعد القلب زهرة أنف أغنى الصبا حسنها عن الدرر

* * *

هات اسقنى يا نديم واظمأى حتى ترانى نسيت مذكرى

إن أغانى الأسى وإن حسنت أرضية يا نديم فاقتصر
أرجعنا صبية مواجدنا منطقنا صرخة من الخور
نلتمس النور كل ملتمس هيهات والحظ جد معتكر
هل كان ما مر من لذائذنا كما زعمناه طيب مختبر
ينبوع صفو النهار مزدحم رقراقه بالظلام كالجزر
لكنما الوهم صيقل صنع يحيل لمع الزجاج كالدرر
والمرء أعلى بما مضى نظراً : لبُعده أو لحاضر الغير
لكنَّ صدر الفتى يجيش فما يُسعد كالشعر غير معتسر
كما احتبى بالهشيم ذو عدم لم يُلف إلاّهُ فى الدجى الخصر

* * *

ذهنىَ محراب حسنكم وبه صورتكم دون سائر البشر
وخاطرى لاينى يرتّل كالرا هب آيات حسنك العطر
لأبنينْ مذبحاً واجعل قر بانى فؤادى وما انقضى وطرى
إذا خبتْ ناره وقصتُ لها عودَ المنى فهو غير ذى ثمر
فاقبل فؤادى لحسن وجهك قر باناً فقد كان خير مُدّخرى

محمد وعزوز أو الموسيان

عبّاسُ إن ابنيَ لى مفزعٌ ... من وحشة العيش ومن نكره *
يؤنسنى فى وحشتى هذره ... فلا عدمتُ الأنس من هذره
ووثبُه بين ألاعيبه ... وكلها أكبر من قدره
وضربه هذا وتقبيل ذا ... وكلهم ساعٍ إلى بره
وصده طوراً وإقباله ... وليس ما يدعو إلى غدره
يركب ظهرى غير مستغفر ... حُبّ به طفلا على كبره !!
مستهترٌ لا يتقى قالةً ... ولا يبالى الناس من فجره
لكنه فاعلم فتى طيع ... يبرّنى حقّىَ من شكره
يلثم كفى كل يوم ولا ... يضنّ بالقبلة من ثغره
أبلغ إلى عزّوز أطرابه ... وشكره المدفونَ فى صدره
وقل له إن فتى مازن ... يدعوك عزّوزُ إلى مصره
أيهما بالله يا صاحبى ... أجمل إذ يخطو إلى عشره
ومن ترى يا صاحبى منهما ... بالسامرى أشبه فى أمره

---

* عزوز ابن أخت صديقنا العقاد ومحمد ابن صاحب الديوان وهذه القصيدة رد على تحية عزوز المنشورة فى الجزء الأول من ديوان العقاد والموسيان موسى السامرى وموسى بن عمران .

رباه جبريل على دينه وشب مطوياً على غيره
ولم يفده طول تسبيحه فى سره طورا وفى جهره
ولم يغير ذاك من نجره ولا أحال الفرع عن جذره
لما غدا موسى إلى ربه أضل إسرائيل من فوره
وجاءهم بالعجل مستحقراً أحلامهم يضحك فى سره
ومن ترى موسى الكليم الذى زباه فرعون على كفره
رباه فوعون فما راعه إلا نبى فى . فتى بره
يدعو إلى الله ورضوانه ويرعد الجبار فى قصره ؟ ؟

* * *

لا مال أخشى منه إتلافه عباس فى المقبل من عمره
ولا أباليه إذا ما غدا يزهد فى العيش وفى وفره
يعدو على الناس بسوءآته ولا يصيب الناس من خيره
ولست أخشى أن آراه فتى . قد وسع العالم من شره
لكنما أشفق يا صاحبى من أن يجيش الشعر فى صدره
من يشترى شعرى على حبه براحة الغافل عن دهره
من يشترى تغريدتى موهنا بغطة الذاهل عن فجره
من يشترى دمعا يحس الفتى جولته لا الفيض من قطره
من يشترى نفساً وآلامها بثقلة المأفوك فى فكره
من يشترى هذا سوى مائق يسعى برجليه إلى ضره ؟ ؟

يا أمّ

يا أم لا تجزعي مما يداهمنا ... من الخطوب ولا تأسي لما فاتا
تمضي المقادير فينا الحكم عادلة ... ويقسم الله أرزاقا وأقواتا
وكل ضائقة تعرو إلى فرج ... وإن لليسر مثل العسر ميقاتاً
ضل الذي يرتجي تأخير قسمته ... قد مات كالكبش اسماعيل قد ماتا(١)

(١) إفتدى اسماعيل بن ابراهيم بالكبش تأخرت بذلك منيته ولكنها وافته مع هذا .

الميّت الحيّ

أرسلت إلى صديقنا المرحوم محمد أفندى عبد الرحيم وقد دعانى إلى الدخول فى جمعية « أنصار التمثيل » .

ما تصنعون بفان مات أكثره ... وجف من عوده المنآد أنضره

إذا نظرت إلى كادى شبيبته ... أعطاك كنز عظات فيه منظره

كأنه جثة لم تلف دافنها ... أو أنه جدث يمشى وتنكره

فاعذر أخاك ولا تنكر تخلفه ... لا يعرف الجرحُ إلا حين تسبره

نعامَ عينٍ شقيق النفس لو نصرت ... أخاك حال ولكن ليس تنصره

معاهدة غرامية

أيها القارىء :

نحن طلاب جديد ، مبتدعون حتى فى سياسة الحب ، فلست بواجد هنا ما يتغنى به الناس من الوفاء والبقاء على العهد ، لأنهما مما تأباه الطبيعة . والمرء إذا أحب يبدأ بمخادعة نفسه ، ومغالطة قلبه ، ثم ينتهى بمخادعة غيره .

والوفاء فى حياة القلب ، كالثبات على رأى واحد فى حياة العقل — كلاهما ليس إلا اعترافاً بالإخفاق ، وإن فى الوفاء لو تدبرت لشيئاً فى شبوة الملك . وما أكثر ما نود أن نرميه لولا خوفنا أن يلتقطه سوانا ، وكثيراً ما يكون الوفاء راجعاً إلى نقص الخيال أو كل العادة .

ولقد غبر زمن كنا نحسب أنفسنا فيه أوفياء ، ونتوهم مثل ذلك فيمن اتصلت أسبابنا بأسبابهم ، أما الآن فقد أرحنا واسترحنا ، وإليك المعاهدة وديباجتها :

غنى يا ريح حتى تغمضى أعين الفكر عساه أن ينامْ
وامسحى وجهى وتغضين الأسى واطردى عنى شياطينَ المنامْ

* * *

إنّ فى أذنى أعاصيرَ الشتاءْ وبقلبى وحشة البيد القواءْ[1]
تصف العينُ إذا قلبتُها كل شىء لىَ فى أسر الشقاء

* * *

فكأنى سامعٌ شكوى الكلالِ فى خرير الماء جيّاش الضميرْ
وكأنى ناظرٌ قيدَ الليالى حول أعضاد الرواسى كالسيور

* * *

أسمعُ الزهرَ وإن كان قتيلا يندب الحسنَ بأشجى منطقِ

(٢) القواء الخالية .

وسعته الريح تنكيلا وبيلا فقضى والحسن لما يخلق

* * *

ولقد أسمعُ فى الليل البهيمْ ضجةَ الموتى وأبناءِ الجحيمْ
وكهمس الموت فى أذن الكليمْ خطرةُ الريح على النبت الوشيم

* * *

يا خليلىّ أخبرانى واصدقا هل لليل اليأس صبح ينتظرْ
مرّ بى الدهر عبوساً أزرقا كاشفاً عن ناب نضناض ذكر[1]

* * *

هذه كفى على خون العهود ! لا على الرعْى — فهذا لا يكونْ
إنها دنيا كذابٍ وجحود ولصدقُ النفس أولى لو يهون

* * *

هذه كفى على وشك الملال كل نار سوف يعلوها رماد
آهِ لو أستطيع تصديق الخيال أو يكون الجهل شيئاً يستفاد !

* * *

هذه كفى على أن أصطلى بك ناراً دونها نار سقرْ
وإذا لوّحتنى تسترع لى كأس مُهل فى عتيقات القدر

* * *

نقلَتى السّهد عليها والضَنَى ورياحينَ — لو تدرى — الهموم
شجّها الدهر بمحذور النوى فنوازيها خبال ووجوم

* * *

(١) النضناض الثعبان .

وألاقيك ونلتقـــــانى كما ناطح الموجُ جلاميد الصخور
مزبدا حولك مهزوماً وما إنْ تبالى كيف هاضتْنى الوعور

* * *

يا عقيدى طامنَ الله حشاك ! لن ترانى شاكياً وَهْنَ حبالك
أين من طينتنا أين الفكاك ؟ أنت إنسان على فرط جمالك ؟

اللص

لمن مال تبعثره أكف ... تعودن السؤال على الدهور ؟
لحاك الله من لص رقيع ... يفاخر بالعضيهة والفجور
وسبحان الذى آتاك مالا ... وعلمك التزمل فى الحرير
وأسكنك البيوت وكنت قدما ... مبيتك خلف أبواب القصور
ورثت خصاصة وأصبت مالا ... فكيف ظفرت بالمال الوفير ؟[1]
أتذكر حين كان أبوك يمشى ... وما فى كفه شروى نقير ؟
يدلل يومه فى السوق طوراً ... وطوراً فى الأزقة والكفور
ويوقر ظهره مولاه حتى ... كأن أباك كان من الحمير !
فذا البيت الذى تبنى عليه ... وأهون دائه ضعة العشير
وليس بقابل رفعا فدعه ... وكن منه على يأس كبير
فما كل الأسافل ساعدتهم ... سجايا اللؤم والأصل الحقير
وإن سيادة السوقىّ ـ فاعلم ـ ... كمركب ثعلب ظهر النسور
وإنك كالنعامة ليس ترجى ... لمنفعة وإن تك كالعير
وأشبهت الطيور ولست منها ... لعمرك فى قليل أو كثير
وتحسب أنها إما تعاشت ... فكل الناس ذو نظر حسير

---

(١) الخصاصة الفقر .

لقد زعموك إنسانا وإنى أرى الذلان يغضب فى أمور[1]
وقد تجد الملوك لها حياء تدانى فيه ربات الخدور
وقالوا لا يزايله ابتسام وليس المرء تمثال الصخور
فهلا علقوه على جدار وحفوه بأنذال العصور ؟
فكان على صنوف الخزى رمزاً وعنواناً كأصبعك المشير ؟
أترجو أن تعد فتى شريفا ؟ فهذا حين تطوى فى القبور
لأوحشت السجون وإن فيها لدورا جمة من فوق دور
أتأنفها منازل كان فيها أخ لك ليس أضرى بالشرور ؟
نظار فإن حكم العدل يوماً مصيرك للخبيث من المصير[2]
إذاً تلقى جزاءك بعد مطل ويسلمك القضاء إلى الغفور
فكل رزق العباد وكن صبورا على سوء المقالة والنكير
وكل ما شقت من لحم غريض هنيئاً غير داء فى الصدور[3]
ألا فابعث إلى أبويك طرا بألوان المعاذر والقتير[4]

---

(١) الذلان الدليل .
(٢) نظار انتظر .
(٣) غريض نضير .
(٤) يريد بالقتير الفتار ، المحة الخ ، والبيت يشير إلى عقوقه أبويه .

خواطر فى الموت

لا يكاد يصدق المرء أنه سيموت ، أو على الأصح أنه سيفقد إحساسه بنفسه وبما حوله ، وهو معنى الموت . وقد كنت فى صدر أيامى أكاد أجن كلما طاف بى خاطر الموت ، أو سلك سمعى لفظه ، ولكن الأيام كفيلة بتبليد النفس بما تجشمها من معاناة تصاريفها ، وبما تشعرها من دبيب الفناء شيئاً فشيئاً . والآن صرت أفكر فى الموت كما أفكر فى أكلة شهية : لا فزع ولا جنون ، وكل ما أنقمه من الحياة والموت جميعاً أنى سأموت قبل كثيرين غيرى ، وقبل أجيال عديدة ستأتى بعدى ! ! وكل ما يحيرنى هو استمرار هذه الحياة ، التى أعيانى طلاب معنى لها ، أو فائدة أو غرض ، وهى ستنتهى على أى حال ، فما ضر لو قضت « الحياة » نحبها الآن فى عهدى ؟

فى هذه الحالة النفسية ترجمت بيتين ، ونظمت قصيدتين ، فليقرأها القارىء فى ضوء هذه الحالة أو فى ظلامها !

١ — ليتها .... ! !

بيتان مترجمان عن الألمانية :

أيهـــا الزائر قبرى إتْلُ ماخُطّ أمامَكْ !
هاهنا — فاعلم — عظامى ليتها كانت عظامَكْ !

* * *

٢ — الذكر

يملُّ الفتى طول الحياةِ ولا يُرَى على الموت إلا ساخطاً جدّ واجدِ
ويَطلبُ إما مات أن يَنصِبوا له معالِم تستجدى دُموعَ الخرائد
وتُبدِى جراحاتِ الردى وكلومَه وتَستَمنِحُ الأحياء ذكر البوائد
ويَنسج بردَ الشعر مسهر جفنه ليسبى حريم الذكر حر القصائد

بلى ذاك دأبُ الناس كلٍّ بنفسه ... يعرفنا من صادر بعد وارد
وديدنهم حتى تَجفّ حياتُنا ... وتخلع ديباج الربيع المعاود
ويَسكُن نَبض الأرض مثل قطينها ... وتعلق أسبابُ الرَّدَى بالفراقد

٣ — النساجون الثلاثة :

ثلاثة نساجين ثمّ أراهموا ... كما راءهم من قبل عهدىَ آدم(١)
تعاقبُ أيديهم على النول دهرهم ... ولستُ أراه غير أنىَ عالِمُ
ومابى إلى أن تُبصر العينُ حاجة ... أليس سوى ما أنت بالعين شائم
هنالك لو تدرى تُسدّى أكفُّهم ... وتُلحم بُردا عهده متقادم
هناك ؟؟ وما قولى هناك ؟ كأنما ... لحيث أقاموا حده والمعالم ؟
وفى مسمعى منهم وإن كنت لا أرى ... وجوههم — أصواتُهم والزمازم
يحوكون ثوباً ناصعاً فيه تنطوى ... — متى عُريت — هذى الدنا والعوالم
من البردِ الخزّىِّ بعض خيوطه ... ومن بلورَاتِ القُرّ فيه نمائمُ
ومن نفس الريح المديد خطوطه ... ومن قطع السحب الثقال مراقم
ألا ليتنى فى الأرض آخر أهلها ... فأشهد هذا النَّحبَ يقضيه عالم(٢)

(١ و ٢) راءهم وآهم . وآدم وعالم قافيتان فتح ما قبل الآخر فيهما والوجه التزام الكسر أسوة بسائر قوافى القصيدة .

إلى صديق

تهنئة بانقضاء عام

أهنئك بالعيد لا أننى أرى العيد أروح من غيره
كفى فرحاً أن عاما مضى بما لقى المرء فى كره
فليت القلوب إذا ما انقضى تطيب وتعرض عن ذكره
أرى الدهر ما فات لا يقتنى فليت الخوالج فى إثره
يموت الزمان ولكنما تعيش الهموم على قبره
وأقعدنى عنك أنى مريض أعاتب دهرى على سخره
فهل أنت قابل عذر أمرئ يود التبرء من عذره ؟

فى رثاءِ بنتٍ لى

هى قصيدة قديمة ترجع إلى أخريات ١٩١٣م ؛ وقد ضاعت نسختها ، ولا أذكر منها ، غير هذين البيتين :

فقدتك لم تعلق بذهنك صورة ورب صغير زرؤه كالأشايب
تقنصك المقدار منى غرةً وأقلع عنك الموت دامى المخالب

غدًا

غداً تطلع الشمس التي أترقب ... وينجاب ليل لم يقد فيه كوكب
وتصبح مني قيد لحظي بعد ما ... تقاذف ما بيني وبينك سبسب
فيافي زمان ظلت أشبر طولها ... وآمالي سوى رمضائها متقلب
مقيلي آمالي وهن لوافح ... ونجمي ذكرى نورها ليس يلهب
إذا أقفرت الدنيا رأيت خواطري ... تسوّد ما يبدو بها وتغيب
وما أنا بالتسويد مغرى وإنما ... أطير غبار العيش عني وأسكب
ورائي أيام خلعت بياضها ... وظلت دياجيها معي حيث أذهب
لقد أخمدت جرى الحوادث وانثنت ... تذرى رمادي كل ريح توثب
وما تضحك الدنيا انبساطا وإنما ... لنحسن تقدير الأسى إذ تقطب

* * *

ألفت النوى حتى أراني إذا دنا ... أصدق قلبي تارة وأكذب
وتخدعني الآلام حتى إخالني ... سلوت — وتلهوني الشجون وتلعب
ويغضبني حبي وأرضى احتماله ... ويا لشقائي حين أرضى وأغضب!
وأجرى لساني مفصحاً ثم أثني ... فأعجم ما أعني وقد كدت أعرب
غرائب حالات تظل صروفها ... ينفسي تطفو تارة ثم ترسب

* * *

غداً تلتقي الألحاظ بعد شرودها ... وأنشد ما جودت فيك وتطرب
وترنو بعين يلثم الكون لحظها ... يقربها القلب المعنى المعذب

وأنشق أنفاساً بفى حاجة لها فمنه لها أهل وسهل ومرحب(١)
وتمنح كفى راحتيك موأتيا وترخى عنان الشوق طورا وتجذب

* * *

سأشدو ! ومن يدرى إذا كف صادح أيدوى بآ ذان الحبيب التطرب (٢)
إذا ما عيينا بالقريض وصوغه أتعطفك الذكرى علينا وتحدب ؟
وياليت من يدرى أتضحك لاهيا إذا أطبق الدهر الشفاه وتغرب ؟
ويلمع فى عينيك نور عهدته إذا ضم جفنىَّ الردى المتوثب ؟

* * *

غداً تشرق الشمس التى كنت أرقب فياليت شعرى فى غد كيف تغرب

---

(١) هكذا ورد البيت فى الأصل .
(٢) الفعل دوى يدوى بتشديد الواو .

خواطر الأرق

ملل النفس

سطت على الجفن بناتُ السهادْ ... فاستلبتْه غُمضَـــه والرقادْ
فليتها إذ سلبتنى الكرى ... أغفت ولم تسهر لهذا الفؤاد !
يا عجباً من سارق زاهد ... لا يحفل الكنز الذى قد أفاد !
ليلان : ليلٌ صبحُه يُرْتجَى ... وليل نفس ما له من نفاد
ألِفْتُ وجه الليل من طول ما ... أخلو بنفسى فيه دون العباد
ولم يعد للصبح من رونق ... فى العين إذ يخلع عنى السواد
فى النفس جرح عزنى برؤه ... تُخْفِى الدياجى دمه كالضماد

* * *

قد كنت حَيَّ الحِسِّ يقظانه ... فالآن ما أبلد هذا الجماد ! !
تمـــر بى الأيام لا آسفاً ... لِكَرِّهَا أو راغباً فى ازدياد
لو كنت ما كنتُ قديماً ؟ ؟ إذاً ... هشّم رأسى نطحُه للصلاد !
عينىَ ملت كلَّ ذى نضرة ... يأتيه من قبلِ الحصادِ الحصادْ
وملّتْ الأذن افتراءَ المنى ... وضربَها الآفاق دون المراد
وملّتْ النفس أغانى الأسى ... ولوْبَها حول الأحاظى البعاد[1]

---

(١) اللوب حوم العطشان حول الماء .

واحسرتا أنّى تعيد الرماد ذا معمعاتٍ قَدَحَاتُ الزناد !
واحسرتا أنّى يُحِيل الرُّبَى إن أمحَلَتْ خضراء نفثُ العهاد ! (١)
ترى وجوه الأرض لا ترتضى من أجلِنا أن تكتسى بالقَتَاد ؟ ؟
حتى متى أسمع لفظ الوفاء وهل تُرى يجمل أن يستعاد ؟
وهل تُرَى أعنى به ؟ أم له عنى معدّى واسع ذو امتداد
وهل ترى تطفو سفين المنى وترتقى بين أواذى الدآد ؟ (٢)
ويغتدى عود الهوى مورقا يُجنى فؤادى ثمرات الوداد ؟

* * *

وَدِدْتُ لو تحملنى أجنح إليك لما طار عنى الرقاد !
آوى إلى ظلك فى ليلة أغرت بأجفانى بنات السهاد !

(١) العهاد الأمطار .
(٢) الأواذى الأمواج .

وصيّة شاعر

على مثال وصية « هينى » الشاعر الألمانى

أسأل القارىء وأعفيه من مؤونة الإجابة : ألا يحب المرء لعدوه كل سوء ؟
أليس كرهك مصادر شقوتك طبيعياً ؟

ليس هذا من كرم الخلق فى شىء ولا ريب ، ولكن خداع الألفاظ عظيم ، وما أكثر ما نموه بها حتى على أنفسنا ، وإن كان الأصل أن يغالط المرء غيره لا نفسه ، ولكنه يألف الرياء والغش والمغالطة حتى تجوز عليه كـواه ، وكرم الخلق صفة لا وجود لها فى هذه الدنيا الدنية ، ولم يمش على ظهر الأرض رجل واحد — عدا الأنبياء والجانين — يستطيع أن يقول بينه وبين نفسه « أنا كريم الخلق بالمعنى الصحيح » .

وخير للناس أن يتقبلوا وصيتى هذه بقبول حسن ، فأنها قطعة من القضاء وما أخلقهم أن يشكروا لى أنى حرمت العدل فى القسمة ، ولم أحرم أحداً من نصيبه ، الذى يستحقه على عكس المألوف فى الوصايا ، مذ كتبت فى هذا العالم ، ولأن شكروا لأزيدنهم ! !

ستُرخى على هذى الحياة الستائر ... وتطفأ أنوار ويقفر سـامرُ
فهل راق هذا الناس قصةُ عيشتى ... وماذا يبالى من طوته المقابرُ ؟
تركتُ لهم من قبل موتى وصية ... نظير التى أوصت بها لى المقادر[1]
وهبت لأعدائى — إذا كان لى عدى — ... همومى ومامنه أنا الدهرَ ثائر[2]

---

(١) كأنما يمكن أن تكتب الوصية بعد الموت !

(٢) هذا الاحتراس فى قولى « إذا كان لى عدى » ليس سببه أنى أعتقد أن ليس لى أعداء ، فأنهم كثر بحمد الله ، وأكثر من اللازم ، ولكنى أحسبهم سيتبرأون من عداوتى متى قرأوا الوصية ، على أنى قطعت عليهم خط الرجعة ، فلم أترك أحداً دون إيصاء بشىء .

وأوصيتُ للمحبوب بالسهد والضنى ... وبالدمع لا يرقا ولا هو هامر
وبالجدرى فى وجهه ليزينَه ! ! ... وبالعرج المرذولِ والله قادر(١)
وبالضعف والأملاق واليأس والجوى ... وبالسقم حتى تتقيه النواظر
وللشَّيبِ بالأوجاع فى كل مفصل ... وبالثكل فى الأبناء والجد عاثر
وكل سقام قد تركتُ لذى الصِّبا ... وما كنت منه فى الحياة أحاذر
وللناس ألوانَ الشقاءِ وإننى ... إذا متُّ لا آسَى على من يخامر

(١) جرى العرج بالى لأنى أنا أعرج .
تنبيه : التعليق على عبارات هذه القصيدة بقلم الشاعر نفسه .

هاجِسٌ

يانفس من لى أن أحقق رغبةً ... جمحت بنفس الشاعر المتأمِّلِ
ليست تكلفنى المحالَ وإنها ... لثمارُ ذهن مخصب لا مُمْحِلِ
تُورى صدورَ الكاشحين وتَنْثَنى ... فتُقرّ عينَ المخلص المتهلل
أكلَ التبطُّلُ ما مضى وأخاف أن ... بقيات من أيام عيشى المقبل

ولهـــلم الثانى

قصيدة ضاعت نسختها ولا أذكر منها غير هذه القطعة :

ملكَ الملوكِ تولت الأحلامُ ... وطغتْ عليك بسيلها الأيام
تَفَسَتْ عليك جلالَ حِلمك قدرةٌ ... فى راحتيهـا النقض والأبرام
للنـاس غايات وللمقـدار غا ... يات تضل بتيهها الأفهـام
لو كان جِرم المرء قدر جلاله ... ضاقت بِجرمك هـذه الأجرام
أو كنْت أضألَ من ملكتَ قيادة ... لنجوت مرمياً إليك زمـام
رجل الضئيل على الصفاة وإنما ... يهوى الذى تسمو به الأحلام(١)
قامرت بالدنيـا وكلفت الورى ... ما لا يطيق فلّك الخُـدام
ولو اجتزأتَ بما ورثتَ لما جرت ... إلا بشكر هوانك الأقـلام
هذا الورى نمل فلا تطلب به ... أمـلا تنوء ببعضه الأعـلام
والنـاس ليس لهم بغير بطونهم ... شغل فخير منهم الأنعـام

* * *

ملك تملكه الزوال فعرشـه ... بالصدع من كف القضاء حطام
ومعصب فاز الورى من سعيه ... بثماره — ومضى له الآلام

---

(١) الصفاة الصخرة .

كان ليلى

كان لى فى العيش ملهى كلما ... أظلم الهم جلا عنى الظلاما
فطوت عنى الليالى حسنه ... ونشرناه على الدهر نياما[1]
كلما شيخ دهرى عهده ... رجعته حدة الشوق غلاما
لفنى من بعده الهم فما ... أجتلى فيما أرى إلا رماما

(١) هكذا ورد البيت فى الأصل .

وقفة فى الحياة

وقفت على الجسر الذى يعبر الورى ... إلى الموت والأشباح حولى تخطر
تحدثنى نفسى بأنى هالك ... وتوهمنى الآمال أنى خالد
ويهمس فى أذنى العزاء أن أتئد ... فان بُعيد الموت حظك أوفر
فأقدمت هيابا وأحجمت حائرا ... يدافعنى عن نفسه ما يراود

إنشاد الشاعر شعره

ورب فتاة يملك الطرف حسنها ... تغنى بشعر مسترث فتطرب

كسته من الصوت الأنيق حلاوة ... فعاد نضير النور يصبى ويعجب

وثابت إليه روحه وتضوّعت ... نسائم فى بوغائها تتقلب [1]

فكل فؤادى فى نعيم ولذة ... وقد يمكر الصوت الندىّ ويكذب

ولكنه مكر شهىّ إلى النهى ... خفيف كما شاء الجمال محبب

وأعذب منه الشعر يتلوه ربه ... ويفرغ فيه روحه وهو ينشد

يحس إذا أجرى اللسان كأنما ... لماضى شجاه كرة وتردد

كما فرت الأرواح بعد نزائها ... وما زالت الأمواج ترغى وترعد

---

(١) البوغاء رائحة الطيب .

إلى العقّاد

ردّاً على أبيات تعزية

قد تزملت فى الهموم فما أخلع بردا إلا للبس برود .
لو رمانى الزمان فى نضرة العمر لكنت الجليد جد الجليد
ولكان المصاب كالهزم فى الصخر ولكن قد حطم الدهر عودى
ما عليه لو أنه كان أبقاها عزاءً لوالد مفؤود ؟ (٢)

---

(٢) المفؤود الذى أصيب فؤاده .

النسر المهيض

يا نسر ما للجناح لا يثبُ ؛ وما لعينيك فى الثرى أربُ
أخلدتَ للأرض غير مكترث للشمس تذكو والرمل يلتهب
ومِلتَ عن دولة السماء فما يفوتُ منك الرماةُ ما طلبوا
فالعين مفتوحة كمغمضة والريش فوق التراب مختضب
أمايَهمّ الجناح ؟؟ واأسفى عليه فى الجو وهو يضطرب !
أم هاضَه خفتُه وأوحشَه ملكُ سماءٍ تظله السحب ؟
لا عجب إن تحس وحشتَه فالقُرُّ فى الشاهقات مُرتَقب
ويح النفوس التى تطير بها همّاتُها حين يسخر التعب !

الحمار المستأسد

النجاء النجاء يا ابن .... من سيوف الهجاء ذات المضاء

لا لعمرى وأين تهرب منى ومنايای طیّ هذا الهواء

أنا كالموت مُدرك كلّ حیّ أتحدّاه بالأذى والهجاء

أنا كالشمس مدرك ليلك الأسـ ـود بالنور واللظى الكواء

أتوخاك حيث كنت من الأر ض ولو غبت فی حبال الهباء

لو تخذت الرياح خيلا لما أفلت فارضخ لرغبتی وقضائی (١)

أنا أفری أديم عرضك بالقو ل وغيری بالفعل يفری فرائی

قرب الشعر مصرعا لك تقصيه وللشعر مصرع الأشقياء

ليس ينجيك من لسانی من تهد ی من الأمهات والأبناء

. . . . . .

ولئن طرت فی السماء فإنی بالغ منك مأربی فی السماء

وتيمنا لأجعلنك أحـدوثة كل الركبان والأملاء (٢)

ناشراً كل سوءة لك تطويها دؤوبا وفعلة شنعاء

ومعيداً من حفرة القبر أشلا ءك أنتن بهن من أشلاء

بل معيداً آباء سوء أراك أعتـ ضت منهم أحاسن الآباء

فإذا كنت ما زعمت من الإنسان أطرقت شدة استحياء

---

* أسقطنا من هذه القصيدة تسعة أبيات فيها نبو خادش وإن خالفنا بذلك أمانة النقل .

(١) يريد بالرضخ الإذعان وليس به .

(٢) الأملاء جمع ملأ وهم الخلق .

سيقول اللعينُ قزمٌ يلاقيكَ بساقٍ عرجاء ذات التواء
إن أكن قزمة فأن قوافيّ طوال جداً بغير إنتهاء
كل ذى عاهة ولا شك جبار فحاذر من رجلى العرجاء
كان تيمور أعرج الساق فافطن لمعانى العاهات والأدواء
وتأمل مثال ما نحن فيه قصة سقتها عن القدماء
زعموا أن معشراً ركبوا الماء وحثوا سفينهم بالغناء
ورآهم قزم فنادى مهيبا أن دعونى أكن من الشركاء
أنا قزم كما ترون فلا تخشوا زحامى مجالس العظماء
فرضوا وانبرى إليه سفيه حسب الفضل كله فى الرياء
ذو لسانين — بل بوجهين : ملّاق، ووجه يعيب بالإيماء
يتلقاك خاشعاً باسم الثغر ويلقى حبائل الحقراء
وإذا ما سمعته قلت سبحانك ربى ذا أوحد الفضلاء
وإذا ما بلوته لم تصدق أنه ينتمى إلى حواء
ورآه القصير يضحك منه حاسبا أنه من الأغبياء
وإذا بالسفين جاش بها التيار والقزم آخذ فى النماء
وأحس الرفاق بالضيق حتى عالجوا غمرة الردى والفناء
وأخونا القصير يكبر أضعا فاً ولكن عن صحة وامتلاء
وانثنى سائل يقول من العملاق إنا من كربه فى بلاء
قال كنت القصير قدما فأما الآ ن فالضخم هائل الأنحاء

* * *

ذا مثالى لو كنت تفهم يا غر ولكن حُرمت فضل الذكاء
ذا مثال العظيم يظهر فى النا س ويمضى بأوفر الأنصباء

يحرم الناس ما ينالون لولاه ... فهم من وجوده فى عناء

* * *

أنت فينا ظلمت نفسك فاذهب ... حيثما شئت من وسيع الفضاء
أنت عار من الفضيلة لكنك كا ... سٍ من الخنا والغباء
أنت خال من كل فضل سوى إحـ ... ـسان أهل الإحسان والكرماء
تأخذ القرش فى إباء كأن الله ... أعطاك ذرة من إباء
كل شيء تكلف منك حتى ... مشية حزتها عن الأعلياء
كذب كلها حياتك يا ملعون ... حتى دعواك فى الأحيـاء
لا ترد الأكف عنك ولا تحجم ... يوماً عن ريبة أو خفاء
أنت يا شيخ ــ لست بالشيخ حقاً ... غير لفظ أريد لاستهزاء
مثلما قيل « يا عزيزة » للبغلة ... بغيا تهكم بالنساء !
لِم رضوا أن تكون فيهم على رأ ... ــسك هذا الطربوش كالعلماء ؟؟
أنت شيء ــ بل أنت لا شيء يا هذا ... وإن كنت بادياً للرائى
قسما بالإله لو كنت فى العين ... قذاة ما كنت ذا إيذاء
خلق الله كل شيء لمعنى ... غير هذا المخنث المشاء
لمَ ربى خلقت هــذا وما أو ... ضــاه عبــداً لأحقر الأدنياء
لمَ ربى خلقته وهو لا يحسب ... إلا فى ســاعة الإحصاء
لك وجــه يذكر المرء بالعهر ... وبالمخزيات والفحشــــــاء
وقفاً تصفع الصواقع منه ... ذا رنين مجلجل فى الفضاء

. . . . . .

. . . . . .

خبرونى يا قوم من أبواه ... ما نصيبــاهما من الأسماء ،

. . . . . .

. . . . . .

أنت للنبل والحقيقة والعفـ ـة والفضـل أحـقر الأعـداء
حالك الحال ليس يرضى بها الكلب فأنى غدوت ذا خيـلاء ؟
لا بل الكلب ذو وفاء وأنت الذ ئب غدراً وإن تكن كالشـاء
عجباً للزمان ألبسك الجبّة والفروَ بعـد طول الحفـاء
كنت مستفرداً شريداً فرقيت وأصبحت ضحكة الظرفاء
وكذاك الزمان ينعم بالخير على غير مستحق الجـزاء
فقم آكل هنيئاً وكف عوّدت أن تمدّ الأعطاء

. . . . . .

. . . . . .

لابساً من شفوف أهل السخاء راتعاً فى رياض أهل الثراء

. . . . . .

وادعيت الذى لو اجتمع اليوم لحىّ لعدّ فى الأنبياء
أدباً بارعاً وعلـما وفهما وأباً !! ويك يا قليل الحيـاء
حدث الناس أن برذون سوء طمحت عينه إلى العلياء(١)
فاكتسى جلدة الليوث فهابته وحوش الدهناء قبل الشاء(٢)
فتوقفن مدة ثم أقبلن يروّثن فى طريق النجاء
واستقرت آراؤهن على أن يتقدمن نحوه بالفـداء
ثم رتّبن أمرهن : فقى الصبح أوزّ وظبيـة للغـداء
وتباشرن ثم أشرفن ينظرن خلال الشجراء والقصباء
وإذا هن راعهن نهيق لم يدع فى هوانه من مراء
أنت هذا الحمار — لو كنت تدرى قد أزحنا عنه ظلال الخفاء
فالتمس غيرنا ودلس على من شـ ئت إلا معاشر الشعراء

---

(١) البرذون الدابة .
(٢) الدهناء الفلاة .

كأس النسيان

« أدهق الكأس ! بل تمهل ! إن الماضي هو الذي يظل الابتسامات المفقودة التي ستضيء طريقنا مرة أخرى ، فأرق الكأس فلا بد لي أن أتذكر ! » .

هاتِ اسقِنِي سلوةً عن الذكرِ ... أنسىَ بها ما مضى من العُمْرِ !
أنسىَ بها حاضري ومؤتنفي ... كأنما يُدرجان في الحُفَرِ
بها أنيم الشجونَ قاطبةً ... وأتقي الدهرَ كرَّةَ الفِكَرِ
هات اسقنيها وخلِّ نشوتها ... تمحو الذي في الفؤاد من صُوَرِ
وخذْ كنوز العقول وارم بها ... من حالق للرياح والمدرِ(١)
كم غصت في لجة الحياة فما ... زلت بغير الصخور والحجرِ
وكم نفضت اليدين من حجر ... حسبته درة من الدررِ
فخل كأس العفاء تسلبني ... كنزي وتسحو سلاسل الخبرِ(٢)
ما ضرني لو جهلت ما علمت ... نفسي وما قد أفادني نظري ؟
أو نسيت الذي شعرت به ... في كبري الآن أو لدن صغري؟
أو لو سلوت الذي كلفت به ... على الذي كان فيه من شكري؟
أو لو فقدت الذي فرحت به ... وما وجدنا في حدة الظفرِ ؟
أثم صوت تعيد نبرته ... إلى ذكرى الربيع والزهرِ ؟
أثم عين تثير نظرتها ... أحلام نفسي في رِيق البكرِ؟
وتنشر اللذة المضيئة لي ... حلما من العيش جد مبتكرِ؟

(١) المدر الحصى .
(٢) تسحو تجرف .

نعم لعمرى فى الأرض زينتها ... من زهر مونق ومن ثمر[1]
كأنها لافترار بهجتها ... تحير نطقاً لمدمن البصر
واها لتمويتها إذا اتسقت ... أصباعه واستراح للسحر!
واها لسحر فى لحظ نرجسها ... يسطو بوقع السجوّ والفتر[2]!
واها لأيكاتها إذا همس ... النسيم فى أذنها مع القمر!
لكن أغصانهن يا أسفا ... بعيدة من منال مهتصر[3]
أصبت فى العزم لا الشعور فأن ... أدرت لحظى فى الشيء لم يدر
وإن مددت اليدين خانهما ... عزم الشباب الجرىء ذى الأشر[4]
يذعرنى الشيء كان يجذبنى ... لشد ما أستجير بالحذر!
أحمل عبئاً من من السنين فما ... عسى وراء الغايات منكدرى[5]
ولى من الذكريات حاشية ... فى حيث أمضى محشودة الزمر
فهاتها أذعر الشجون بها ... حتى أراها تطير كالشرر!
لم لا أبتّ الذى يقيدنى ... بما مضى وانقضى من العصر؟
إنى أرانى قد حلت وانتسخت ... مع الصبى سورة من السور
وصرت غيرى فليس يعرفنى ... إذا رآنى صباى ذو الطرر
ولو بدالى لبت أنكره ... كأننى لم أكنه فى عمرى
كأننا اثنان ليس يجمعنا ... فى العيش إلا تشبث الذكر
مات الفتى المازنىّ ثم أتى ... من مازن آخرٌ على الأثر
فامح ادكاريه إن ذكرته ... تعين صرف الزمان والغير
وأخلنى اليوم من شجاى به ... أستأنف العيش غير منبهر

---

(١) مونق معجب .
(٢) السجو السكون .
(٣) هصر العود أماله إليه .
(٤) الأشر البطر .
(٥) منكورى أى إسرائى .

العذيرة

مرت عشاءً بي فتـــانة يا حسنها لو أن حسناً يدوم
والجو ساج شاحب بدره كأنما أضناه طول الوجوم
فقلت يا غادة : أذكرتني أحلام عيش نسخها الهموم
أمثل هذا الحسن لما يزل في عالم الشر القديم العميم ؟ ؟
ألم يزل (كوبيد) ذا صولة يرمي فيدمي كل قلب سليم ؟ ؟(١)
قالت : ومن كوبيد هذا الذي تذكره مقترناً بالـــكلوم ؟(٢)
فقلت هذا ولـــد مولع بصيد أكباد الورى كالغريم
فتمتمت عائذة باسمه من كل شيطان خبيث رجيم !

* * *

يا بدر هل أبصرتها موهنا بين ذراعيّ تعدّ النجوم ؟
أم كنت في ليـــلة ذاك النعيم في شغل عنا بكحل الغيوم ؟
يا بدر ما أفشاك رغم الوجوم!

---

(١) كوبيد إله الحب .
(٢) الكلوم الجروح .

شهداء الغربة

بستان آمالنا لقد ذبلت فيك زهور من آنف الزهر
جنى الردى نورها مخالسة كالنحل شار الرياض فى البكر
فى غربة لم تكن مقدرة أن تغتدى من فواقر الفقر (١)
ورحلة قد حدت إلى سفر ما بعده من نوى ولا سفر
أودى بها قبل أن تجرب فى العيش امتزاج الصفاء والكدر
بل قبل أن تبلو العواطف فى الصدر وهزم الصروف والغير
بل قبل رود الصلال جنتها ونفثهن السمام فى الغدر (٢)
ما قارفوا سبّة ولا خطموا أنوفهم بالشنار والعرر (٣)
ما لوثوا روحهم ولا برزوا إلا بوجه يفى بمستتر
أبناءنا كنتمو لنا أملا يعمر قفر المشيب والكبر
كنتم كقوس الغمام فى أفق داج مسف الركام والعكر
نبكيكم بالقلوب دامية من كرم النفس لا من الخور
أبى لنا الضعف أن واجبنا ما زال حمل الفوادح الكبر
وأن نروض النفوس مكرهة على الذى تتقى من الضرر
ونتفض الكف غير زاهدة من الكثير الجليل ذى الخطر

---

(١) فواقر الفقر أى كاسرات الظهور .
(٢) رود طلب والصلال الحيات والسمام السموم .
(٣) العرر الجرب .

كما نفضنا اليدين وا أسفا ... من مدر ضمكم ومن عفر[1]
كلا لعمرى لأنتمو أبداً ... فى القلب والذهن ماثلو الصور
أفواهنا لا تزال منشدة ... ما كان يصبيكوا إلى الصور
وملء كل الصدور أمتكم ... لا ملء كل القبور والحفر
أغليتموها — لا عاش مرخصها — ... فلم توكلكمو بمنحدر
يا ليت كل البنين مثلكمو ... حسن · بلاء وطهر مختبر
تشب فى صدرهم إذا ذكروا ... بلادهم نار حبها . الغمر
كأنه نغمة مؤلفة ... لكل حر الجنان والوطر
نفوسهم معبد لصورتها ... سامى الذرى قائم على العصر
قد زلزلت كل أمة وهوى ... كل رفيع موطد الحجر
وراح يبنى الطماح هيكله ... من نقض هذى الخرائب الكثر
لكن نار الحياة صائحة ... تريد تمحيص كل ذى وضر
ستذكرون الغداة فى زمر ... قد شيعوها بالنفس لا العشر
قد مالت الشمس صوب مغربها ... فى برد حسن فى الأفق مستطر[2]
همت بتوديعنا وقد لبست ... أفوافه زين لها ومفتخر
تنأى الهوينا كأن عالمنا ... معهد لذاتها لدى الصغر
وأى جمع لنا متى انحدرت ... بخطو على دق طبلة القدر !

---

(١) المدر الحصى .
(٢) مستطر مكتوب .

أين أمك

محاورة مع ابنى محمد

لم أكلمه ولكن نظرتى
ساءلته أين أمك ؟
أين أمك ؟
وهو يهذى لى على عادته
— مذ تولت — كل يوم !
كل يوم !
فانثنى يبسط من وجهى الغضون !
ولعمرى كيف ذاك !
كيف ذاك !
قلت لما مسحت وجهى يداه
« أترى تملك حيلة ؟
أى حيلة »
قال : « ما تعنى بذا ياأبتاه ؟ »
قلت : « لا شىء أردته !
ولثمته !

إلى العقاد

يا موقظى من غفلات الشباب ... ومرشدى فى حيرتى للصواب
وباعثى إن فترت همتى ... ومنهضى أما كبابى الطلاب
ويا عقاب الشعر يا نسره ... وأقدس الصحب وأزكى اللباب
أعزز على نفسى أن تشتكى ... شيئاً وأن لا أستطيع الطباب
أعزز ،، ألا ياويح أم اللغى ... ضاقت بإحساسى فى كل باب !
لا خير فى مثلى فياليتنى ... دونك أشكو ظفر وعك وناب

* * *

أعداؤنا كثر وهم نبح ... فانهض لهم واعصف معى بالكلاب
أو — لا فدعهم فهمو زمرة ... لا ضير من نبح لهم واصطخاب
يهجهم علمهمو أننا ... أضخم من أن نتأذى السباب
وأنهم ذئبهمو أرنب ... وليثهم يطلب عون الذباب

* * * *

عوفيت يا قرة عين الحجى ... والشعر يا أزخر موج العباب
لا يوهنن عودك ما يبتلى ... به فقدماً شددتك الصعاب !
أقسمت أنى واثق موقن ... أنك ناج ظافر فى الغلاب
وما لإيمانى من علة ... سوى شعور مالىء للشعاب
وقد يحس الغيب قلب الفتى ... كأنما يقرؤه فى كتاب

رثاء الشهيد
محمد بك فريد
زعيم الحزب الوطنى

شطنَ المنون ملكتَ أىّ قياد ... من مُصعَب ما كان بالمنقاد[1]
فأناخ لا يرجى لديه على البلى ... سبق إلى الغـــايات والآماد
وثوى بمدرجة تساوى عندها ... ذل الحقير وعزة الأمجاد[2]
نجمان قد غربا : فذا لمنية ... عجلى ، وذاك لغربة وعوادى
والهفتاه له ، يذوب كيـــانه ... وجَنـــانه كالكوكب الوقاد
ويشيع فيه الموت وهو مغالب ... بَردَ الردَى بحرارة القرصاد
يأبى على وقع الردى ودبيبـــه ... أن لا يمـــدّ يدا غداة تَنادِ
ويغالط القلب القريح كأنمـــا ... سهم المقادر ليس فى الأكباد
وإذا تمثل خَيْنه لضميره ... وخروجه من حلبة الأجناد
نزت الحياة به تَنَزّى ألسنٍ ... للنـــار مُشفية على الأرماد
ويهون أن يَلقى الخصاصة والأذى ... والبعدَ عن أهل وعن أوداد[3]

---

(١) الشطن الحبل والمصعب الفحل الذى لم يمـــه حبل .
(٢) المدرجه المسلك .
(٣) الخصاصة الفقر والأوداد المحبون .

كل يهون عليه إمّا أنجح المسعى وفكّ موثّقَ الأصفاد
لو شاء كان على الورى مستعلياً بالمال والألقاب والأعضاد
لكن ترفّعَ عن جدًى لا يُقتنى إلا بوسم الحُفّ فى الأجياد

* * *

ثبّت البواسل قبل عهدك فى الوغى كالطود راسخ قُنّةٍ ووِهاد
غضبوا لحوزتهم تُباح فزحزحوا أمضى قواضبهم عن الأغماد
وتزاحفوا والنفس ملء شعابها أمل يعد لهم من الأمداد
ومضوا خفافاً للقاء كأنما أيامه الجلّى من الأعياد
حتى أماطوا الضيم عن أوطانهم بالجود بالأرواح والأجساد
لكن من يمضى إلى مستنقع للموت لا حلو ولا ببُراد[1]
وقد استحال الصبح ليلا حالكاً وخبت مصابيح الرجاء الهادى
وانفض كل مُناصر ومظاهر عنه فلا ذو نخوةٍ أوفاد
وإذا أدار العين لم تأخذ سوى طول الطريق إلى مدى الأبعاد
فى حيثما جالت فثم حيالها مرض النفوس يفتّ فى الأعضاد
ويقول للنفس اثبتى ولو انى وحدى أصاول جحفل الأضداد
هذا الشهيد — وما عدتك صفاته يا أوحد الأبطال والأنجاد

* * *

إلا يكن شرع القنا يهفو بها عذب البنود لغارة عُصْواد[2]
فهو الغمامة لم تزل تهمى إلى أن أقلعت عن أرضنا لنفاد

---

(١) براد بارد .
(٢) العصواء الشديدة .

أحييتْ مواتَ الأرض بل قُطانها ... من بَعد ما كانوا من الأصلاد

فيكل نفس نفثة من روحه ... حرّى تحفّزها من الأيقـاد

وصدى لنغمة نفسه متوثب ... وثب الكواسر عن ذرى الأطواد

لهفى عليك حملت وحدك صابراً ... ضغط النجاوى المرة الأنكاد

وعلى جبينك صورة الأمل الذى ... أودى ذواه بنضرة الأعواد

ولقد تبسم والكيان مزلزل ... والقلب يقدح فيه كل زناد

واهولَ ذلك من صراع فى الحشا ... صعب على الطين الضعيف الكادى[1]

* * *

ما كنت ممن لا يزال يقيمه ... طوراً ويقعده على الأقتاد

إيجاسه خوف الألى يخشونه ... من بطشه المتواصل الأزباد

كلا ولا ممن يكظ فجاجه ... نفر من الأعداء والأوغاد

لا الصبح يقربه الأمان ولا الدجى ... نوم القرير وغطة الكداد

صاح الضمير به فليس لقلبه ... أو عينه منجى سوى التسهاد

بل هذه الأرواح عرشك فوقها ... والحب تاجك طى كل فؤاد

لكن قلب الشعب — ويح رجاله — ... طوع الجواذب لين التقواد !

* * *

وضع الزمان على جلالك ختمه ... وأثابك التخليد فى الأخلاد

لا يستطيع عداك طى صحائف ... نشرتها أو طمسها بسـواد

ما فى حيـاتك لوثة موكولة ... لتسـامح الحساب والنقـاد

لا للكبول خلقت أو لمهانة ... فتضيم ذكرك ألسن الأحقاد

---

(١) الكادى الذى ساء نبته .

وبذلت أنفس ما يضن به الورى ... طراً من الأعلاق والأعتاد
حتى الحياة أذلتهـا متوخياً ... بالبذل صون كرامة الأجداد
لا الضنك خفت وأنت ضنء أماجد ... كـلا ولا التشريد عن أولاد
مثل الضحية أنت فينا بارزاً ... بوركت من بر بأكرم واد
أيطاول الشجر السماء وإن تكن ... أعراقه فى الأرض كالأكباد
ويصارع الجبل الرياح وعصفها ... والسحب من متروّح أوغاد
وينام هذا الناس ملء جفونهم ... وعليهـم الآفاق بالأسداد ؟؟

* * *

قد تسقط الأزهار عن أغصانها ... ويقـر قلب النسر وهو يرادى
وترى النجوم الزهر من أفلاكها ... تهوى — من الآباد فى الآباد
كل يلم به العفاء وهل ترى ... شيئاً يدوم على الزمان العادى ؟
لكنما ماضيك أبهـر روعة ... من أن يضيع كصرخة فى واد
لو لم يكن منا سواك مجـاهد ... لكفى به شرفاً وفخر بلاد !

ليلة وصباح

خيّمَ الهمُّ على صدر المشوق
يا صديقى !
وبدتْ فى لجة الليـــل النجوم
ومضى يركض مقـــرور النسيم
وثنى الزهـــر على النور الغطاء !
عم مساءاً !

* * *

هاتِ لى ... ماذا؟ ألا هاتِ الدواة
« الدواة » !
أو لم يغفُ مع الليل الصدى ؟
فليكن لى ســـمرا تحت الدجى
تتداعى فى حواشيه ســـواء
عم مساءا !

* * *

يا صدى إن بصدرى لكلوما
وهمـــــوما
مدرجات فيـــه لكن لا تموت
كلما قلت قضت رهن السكوت

صحن بى من كل فج يتراءى
عم مساءاً !

* * *

سكن الليل فأترع لى الدواة
وا أساه !
أين لا أين تولى قلمى ؟
« أكلته النار نار الألم »
« كلّه » كلا ! لقد أبقت ... هباءا !
عم مساءا

* * *

هات لى ... آه على قيثارتى !
« شارتى » !
أو لم يبق بها من وتر ؟
خافق بذكريات الصغر ؟
مالها تجحدنى فى اليوم الأداء ؟؟
عم مساءا !

* * *

طلت يا ليل فهل ضل الصباح
فى البطاح ؟
« أيها المنفى عن حلم السماء
لم يته صبح ولا طال مساء

فاغتمض ! لا تملأ الدنيا عواءا
عم مساءا »

* * *

(الساعة الأولى من النهار تتكلم)
ماله يرعد حتى فى المنـــام
لا ســـلام
قم فإن الحلم ذو عصف شديد
بالذى تطويه من صحف الوجود
من رأى حلمك هذا ما استراحا
عم صباحا !

الدهر والحياة

أتعرف الحب ؟؟ وتدرى المنى ؟؟ ... والشجو ؟؟ — هاتيك بناة الحياة !
كذلك الدهـــــر له صبيّة ... الأمس واليوم وطفل الغداه

* * *

حدثنى المقـدار يوماً ، وما ... أبصره لكن أرى ما قضـاه
قال : وكان الدهر خِدناً لها ... ولم تكن تعرف خدناً سواه
وشب أبنـــــــاؤهما بينكم ... على وفاء قد بلوتم جنـــاه
ثم أراد الدهـــر تزويجهـــم ... وكان هـــذا ما تريد الحيـــاه
فناديا أن شـاوروا قلبكم ... وليختر الواحد منكم هـــواه
قال « غد » للأمس فى جـرأة ... أكبرنا أنت فماذا تـــــراه ؟
فقال كلا ! إن عهدى مضى ... « واليوم » مازال وريقاً صباه
فليتقـــدم ولأكن أخيراً ... فأنما أولى بمـــا أخترتماه
فعانق « اليوم » شباب « الهوى » ... وامتد ثغر « الغد » يبغى « مناه »
وزوّج « الأمس » « الأسى » مكرها ... ولم يزل يرســـــل واها وآه

* * *

تنهد الدهـــر وناجى الحيـــاة ... « يا أخت هل وافق قطب رحاه ؟ »
قالت : « وهل للغد غير المنى ؟ ... أم هل يوافى الأمس إلا شجاه ؟ »

تحيّة البطل

« عودة سعد زغلول بعد غياب عامين لم يشهد فيهما الحركة المصرية » .

قد نفضوا عنهم غبار القرون ! فانظر ! أما تعرفهم يا ظعين ؟
كيف وقد ضحيت من أجلهم — أوكدت — بالنفس التى لا تهون؟
هم بنو مصر التى لم تزل تخلف من كل الخصوم الظنون
سائل بهم قلبك ماذا الذى قواه فى يوم الخطار المبين؟
قمت فكانوا رجلا واحداً خلفك حتى ذهل المنكرون
آتوك نصراً لم يزل سيله يقتلع الأسداد أنى يبين
لا الحرب يبغون بآثامها ويجدها المغرى الورى بالجنون
لكنما يبغون أن يصدعوا قيودهم عنهم برفق ولين
ويخلعوا النير بأيد لها من قوة الله معين مكين
ويبتغوا فى أرضهم معبداً للحق والرحمة للعالمين

* * *

السلم لا الحرب هنا أرضها والحق والحب الوريف الغصون
وللذى صورنا وحده نطامن الرأس ونرخى الجفون
ما بيننا من لم تنر قلبه حرارة الحب ونور اليقين
ما بيننا من لم يرد سمعه وعد السموات التى لا تمين

فينا كسير القلب وأحسرتا الـكاسف البال وفينا الغبين
ومن عدت حرقة أحشائه أنداء عطف النفر الناعمين
ومن أغامت ذهنه شقوة فهابه نجم يضيء الدجون
لكنما ما بيننا يائس من قومه واليأس صنو المنون

* * *

يا سعد ما زلت برغم السنين أصلب عوداً من فتىً متين
لا بل برغم العنت المنتحى كل عظيم مالىء للعيون
عقدت أخراك بأولاتها ولم يكن وعد الصبا بالمخون
وفى الورى بعران سوء ترى هديرهم يطويه حشو البطون
لـكنك النجد الذى لم يزل يغنى لدى الجلى غناء المتين
ثبت فما يطفىء من بأسه طغوة عات أوجدى مفضلين
ذو نخوة ما إن ينى همه حرية الشعب المهيض المهين
ما أبهر النفس التى لا تلين لطول غمز الدهر أو تستكين !
وكلما زج بها فى الأتون عادت كأن لم تك شيبت بطين
تمضى إلى غايتها فى سكون كأنها بعض القضاء المحين (١)
كأنما الأمر لها فى الشئون والدهر فى طاعتها مستلين
فالحادث الأكبر إما جرى فما سوى تدبيرها يستبين
والدهر فى قصته حاذق يملى ولا يبدو مع اللاعبين

* * *

ما زال موج العيش يرغى على سواحل الآباد ذات الحزون
والظل . كالعهد به يرتمى على زواليّة رمل القرون

(١) المحين المهلك .

والركب ماض لا يوانى الخطى إلا ليستلحق مستوطنين
كل كما كان — سوى أننا حلنا فما يعرفنا الأقربون
وحق تغيير لذى غلة يحاول الحوض الذى يمنعون
يا سعد فانظر كيف لمع العيون ولوبها حولك أنى تكون !
هن مرايا أنفس أصبحت معقودة بالعيش صافى المعين
هل صيحة تسمعها خلتها تندّ عنّا معشر المهملين ؟ ؟
هل كنت قدرى أننا هكذا تالله ما أخطأ فينا يقين ؟
والمرء قد يزهى بآمالـه من قبل أن يبلغها أو تحين
من ذا له جد كأجدادنا ذكرهمو فى الأرض طود ركين ؟
من الذى يؤمن إيماننا بالحق فى عالم هذا الفتون ؟
ومن سوى قومك قد أقسموا أن ينصر العدل ولو بعد حين ؟
وأن يروا أرضهموا حرة كالريح لا يحرم منها قطين ؟
وساحة للسلم لا للوغى يكر فيها كل عقل رصين ؟
فإن ننلها فلنا فخرها أو — لا — فلا نحسب فى الحامدين
فما لنا لا تزدهينا المنى بقدر ما نحيا لها عاملين ؟ ؟

أمالنـا بوق نحيي به من أخلص المسعاة للقاعدين ؟
أما سوى الشكر لدينا له وهل يفى الشكر بدين المدين ؟
حتى ولا أسلاب شعب أمين عاد وما يسطيع غير الأنين ؟
ألم يعد فى الأرض شعب له ما يغصب الضارى الألد المرون ؟

وهذه الدنيا مراح لمن تراه فيها بالورى يستهين
عذراً إذن فالأرض قد أقفرت من كل ما قد تستبيح اليمين
وحسبه اليوم على كرهنا أنا لمسعاه من الشاكرين
وإننا نلقاه فى عوده بروح مجد السلف الأقدمين
شارفتمو الفصل فما ترتأون؟ وما ترى آثرتمو للبنين ؟
ناشدتكم ما أنذر المشفقون وما احتملتم فى طوال السنين
وبالمنى أضواؤها يرتمين على دياجير الزمان الدفين
لنختر العز بلا كدرة فيه فبعض العز هون دهين
أو لا فإن الفوز للصابرين ووقفة الدهر رجاء شطون !

العراك

زادك الله رونقاً ورواءً ورعى الله حسنك الوضاء
أيها الساحرى وأبقاك للعينين والقلب صحة وضياء
وثنى عنك كل عين ، إذا جال بسوء حملاقُها ، عماء
وتخطاك كل سوء وجازتك العوادى وصادت الأعداء

* * *

قالت النفس إذ رأتنى أدعو الله جهدى ولا أسيئ الدعاء
« كم تمنيت أن تريد لى الخير وتسقى قبل الرواء الظماء !
أغراما بالناس وهمُ كما تعلم سوءاً وخسة وغباء ؟
عبث ذاك كله ومحال فاعرف الحق واجنب الأهواء »

* * *

قلت : « مالى لا تطلب الحسن عينى مثل ما تطلب الصدور الهواء ؟
إن للحسن سحره مثل ما للمال والجاه والذكاء سواء »

* * *

قالت أذكر لواعجاً كنت تصلينى لظاها عشية وضحاء
أذكر الجنة التى فقد الشيخ أبونا بحبه حواء
أذكر اللعنة القديمة من آدم فينا ولا تزدنا شقاء
وكفى بالحياة والسعى والآ مال والهم والشكوك عناء »

قلت : «ماذا أصير إن حرم الحب ... فؤادى وبات منه خلاء ؟
انظرى ! هل ترين إلا جمالا ... وجلالا لا يعرفان انتهاء ؟
جعل الله كل هـذا لمعنى ... أم عناء وباطلا وهباء ؟
لا تقيسى الحياة بالذاهب الغا ... بر منها فتشبهى الجهلاء
إن للشاعر الكبير لعيناً ... ذات لحظ لا يشبع استقصاء
يتوخّى بعد السماء سماء ... ويُريغ الآبادَ والآناء (١)
أوتيت روحه اليقينَ فلجت ... إن ذا الشك مقصر لا مراء
كلما شيّخ الزمان عهوداً ... رجّعت روحُه لهن الصّباء
أبدا يجتلى شباب زمان ... وسواه الكهولة الشوهاء
يجتليها مطلولة الفجر ريّا ... تزدهى اللب نعمة ورواء
ويراها عذراء ما فض عنها ... ختم سرٍّ مصونة عصماء
لم تزل عنده وإن قدم الدهر ... عليها — جديدة عذراء
ويرى بالضمير خيراً عميما ... خلل الشر واضحاً لاخفاء
وإذا أحرقته منها هموم ... قدحت منه همة ومضاء
أفمن كان شأنه ذاك يخشى ... شربة فى حياته كدراء ؟
أين كالحسن باعث لك يحثّ ... ووحىٌ يُحيلنا أنبياء ؟
خبرينى عن نعمة كانت النعمة ... صرفا ولم تفدك عناء ؟ »

* * *

قالت : انظر أعماق نفسك هل تبصر ... فيها بقية أو ذماء ؟
من أبى أن يقيس غورَ قواه ... حمّلته حياته الأرزاء
قد أشابتنى الليالى وشيب النفس ... أدهى من شعرة بيضاء

---

(١) يريغ يطلب ويريد .

وكأنى الزمانُ عمراً وإن كنت بنى صغيرة عجفـــاء
ما عسى صبر ذى الكلال على الأ عنات والبرح ضحوة وعشاء ؟
نضب العزم — والمنى ثرة العين— لعمرى ما أســوأ القرناء
شيبة العزم مع شباب الأمانى — أضعيف يظاهر الأقوياء ؟
دون ما تبتغى حــوائل ضعف فاجعل العزم والمنى أكفــاء
أيهــا الطين ما ترى بك أبغى لست فيما أرى لشىء كفاء
إن طلبت السماء قلت لى الأرض أو الأرض كنت لى عصّاء
حرتُ حتى الذى أفكر فيه لست أستطيع صوغه والأداء
كل حب إلى ملال — وللحسن عفاء — وما أمض العفاء !
خل عنك الأحلام.واسع لداعى الـ عقل يامن لا يستجيب دعاء
إن للقلب جمحة فاجعل العقل لجاما يغـــــالب الغلواء
ما لنا ننفق الحيـــــاة يمينا وشمالا مستعجلين الفنــاء ؟
أضمنّا عمراً سوى ذا جديدا ؟ أم وجــدنا لعمرنا رقّاء ؟
عشت ما عشت لا هيا تطاب الـ ـب وتعتده لديك غــذاء
فتأمل كم ساعة عاشها عقلك هذا وأطرق استحياء !
حولك الأرض والسموات تغرى كل عقل مفــكر إغراء
إنما كان حق عقلك أن يصقل لا أن تسومه إصــداه
تطاب الحسنَ دائبا لتغنّيــه كما غنّت الحمام الضيــاء
مسنداً صدرك القريح إلى شو كة ورد لا تخطئ الأحشــاء
إن يكن ما زعمت حقا فأولى أن تحاكى النسور لا المُكّاء(١)
ترفع الطرف مثلها فى سماء الـ ـفكر حتى تصــافح الجوزاء
أيهذا المسكين مهلا رويدا واسمع الدهر يضحك استهزاء !

(١) المكاء طائر .

أنت عبد الحياة تبكى وتشدو ... بغناء لا يعجب الطلقـــاء
أبدا لا تزال تبكى إســارا ... أو تلهّى فى سجنك الحوباء[1]
ترسل الصوت باكيا فيؤديه ... صـــداه مقطعا أجزاء
مثلما صـــاح فى الظلام صبىّ ... كلما جـد خوفُه الظلماء
ومع الرق والأسار فقد تحلم ... — كالحر — بالخاود اجتراء
وتقول الجمال وحى — وما الحب ... سوى سلم ينيل السماء !
ليت شـعرى أللأزاهير وحى ... ليس يألو أنفـاسها إذكاء ؟
كيف تغدو الأشجار رفافة الغ ... صن عليها ثمارها فيحاء ؟
أين وحى الينبوع فاضت به الأ ... صلاد فانساب ماضيا حيث شاء
إنما أنت كالرياح إذا هبت ... سواء لا تملـك الإعفـــاء
تتغنى ولست تدرى لماذا ؟ ... هكذا شاءت الحيـــاة الغناء
وتصوغ القريض عفواً وإن كن ... ت تظن القريض كان اختفاء
غرنا أننـــا نحس فخلنا ... أن لنا فى حياتنا أن نشـاء
إن نكن صادقين فيما وهمنا ... فلنبدل بأســـاءنا نعماء
كم يريد الفتى ويُحرم مايطلب ... بل يُحـــرم المنى والرجاء
نحن ألعوبة بأيدى الليـالى ... لا نلاقى من صرفها إبقاء
يتقـــاذفننا ويسخرن منا ... ويكلفننا الرضى والبـــكاء
ما تبالى الأيام ثارت بنا هوجاء ... أم غضـــة النسيم رخاء
فتراها آنا تقص جناحينا ... وآنا تنميهمـا إنمـــاء
وأراها لما رأتنـــا قرودا ... أوسـعتنا فى عيشنا إزراء
عابثات بنـــا يخاطبن منا ... أغبياء قد أشبهوا البيغـاء
حفظوا باللسان ثم تحاكوا ... كلمات من المعانى قواء[2]

(١) الحوباء النفس .
(٢) قواء خالية .

لا يحسون صدقهـــا — بل يحسون ... رنيناً رأوا به الإكتفاء :
الهوى والخلود والوحى والعزم ... جميعـــاً والهمة والشماء !
إيه ما أرخص العقول علينا ... إن حشونا عقولنا أسماء ! !
لا بعقل ولا بحكمة طبع ... لج منا من لج أو من فاء[1]
مغريات بنا الأمانى والإعجاب ... والخوف والهوى والرياء
واقفات بنا مواقف سخر ... توسع الـــكبر والغرور اكتواء
بين ذكرى تقتادنا للأمانى ... وأمان تفيدنا الكبرياء
نحن أهل لكل هذا من الدهر ... وإن كان صرفه كوّاء
إن للحق فى الحياة على النفس ... لحقا لا يقبل الإغضاء
قد تناولننا الليالى بإحسا ... ن وبر يستوجبان الثناء
وهبتنا العقول وهى عتاد ... فجعلنا إهمالهن الجزاء »

قلت : يا ليتها إذاً حرمتنا ... نعمة لم نعد بها أغنياء ؟
ما عليها لو أنها تركتنا ... أبد الدهر نرتعى الأكلاء ؟[2]
فرعينا ملء البطون نباتا ... ونشقنا ملء الصدور هواء
ووقتنا « عد » السنين فما جا ... ءت سنون ولا « مضى » ما جاء
ثم أهدت لنا البلادة كيما ... نتقى باكتسائها الأسواء
فحيينا بموتنا جهلاء ... ثم متنا ولم نكن أحياء
ولبسنا الحياة فى كل حال ... جاهلين انتهاءها والبداء
وتهاوت بنا البلادة أن نرفع ... إلا لواحظا عمياء
كل وجه تلقاه تقرأ فيه : ... إلبسوا الجهـــل تحشروا سعداء

(١) فاء رجع
(٢) الأكلاء الأعشاب

لـــكن الله قد أفاض علينا ... « نعمة » الحس فاستلبنا الهناء
إنه هبات ينفع العقل أو يبـــد ... لنا من سمومنا أصباء
وعلى أن سابحاً ناوأ التيا ... ر أو شارعا عليه ، نجاء
صنو من أسلس القياد وخلى ... الماء يرمى بشلوه الأرجاء
لو ترى الماء ناطقاً قال : « سيان ... مطيعى وتاخذى أمطاء
بل سواء علىّ نازعنى الركب ... فؤادى أم جشمونى الجفاء
لا أحس السنين تحدى ولا الأ ... سماك — شتى تغازل الأحشاء
لا ولا الريح إذ تثور ولا البرق ... ولا الرعد لا ولا الأنواء »
قد رزقنا الإحساس دون سوانا ... فعدمنا فى عيشنا النظراء
وجدير بمن تميز عن كل ... نظير أن يحمل الأعباء
نحن أحيا الأحياء طرا فلاكنّا ... إذا ضاعت الحياة هباء
فلتقيموا السدود دون مجارى القلب ... ولتوقفوا بهن الدماء
ذاك خير من أن نعود صخورا ... لا تبالى ما حولها — صماء
لو نحس الحياة بالعصب العريان ... ما كان ذاك منا كفاء
كل شىء يسبى إذا نظر الفكر ... إليه ويكتسى لألاء
فإذا ما أجلت عين التجاريب ... استحالت وجوهه ســـوداء
لا تطيلى تخويفى الحب يا نفس ... فما أستطيع عنه إلتواء
وهبينى كما زعمت أسيراً ... يتقاضانى الزمان الولاء
وهبينى مطامعى جامحات ... أوسعتنى عن غايتى إقصاء
وهبينى سيدرك الصبح عندى ... ظل ليل يطاول البرحاء
فاذكرى أنها المقادير تجرى ... كيفما شئن هن فينا القضاء
قلقى حجتى فما لى قرار ... ولياتى ما تمل الحداء
فىّ أيد وقوة فإذا لم ... ألف لى منفذاً رعيت البلاء
هل تطيق النسور أرضاً وما زال ... جناح لهن يطوى الفضاء

ظلم الله من تراه لما يمنحه الله خسارنا خبّـــــــاء
وتعالى الإله عن أن نراه مسرفا ليس يحسن الأيلاء
أتريدين نيمة ليس فيها حلم فى غضونها يتراءى
فكأنا دمى حياة تراءت فوق أجداثهن أو تاقـاء
عمرك الله هل رأيت بنى آ دم إلا يستروحون عناء ؟
قد طردنا من الفراديس قدماً وكتبنا فى أرضنا أشقياء
فلنا العيش ظله راكد الثقل صبـاحاً وغدوة ومسـاء
فى بساتين شقـوة يتهدلن بأثمـار حسرة سـوداء
تتداعى على ذؤاباتها الغربان والبوم — لا القمارى — ولاء[1]
فرشت أرضها هموماً وأشجا نا كأرض الجحيم لا حصباء
وامترى النحس من أديم صفاها المهل لا ماءها ولا الصهبـاء
فإذا هبت الرياح عليها أنشقتنا الأوصاب والأدواء
هذه حالنا على كل حال أبداً نرتعى الأذى لا المراء[2]
شوّم ذنب جناه آدم بل حواء بل من أغراهمـا إغراء
قد ثكلنا سعادة العيش لمـا رزق الشـيخ آدم الأبنـاء
نحن يا نفس والمقادير صنوان جرى الخلف بيننا ما شاء
حبذا هذه السعادة لو كانت لحىّ — ولم تكن جوفاء !
حبذا الزهد فى الحياة لو ان الزهد فيهـا يبرح الغمّـاء !
وأرى خاطب السعادة والراغب عنها فى عيشـه عُدَلاء[3]

---

(١) ولاء تباعا .
(٢) مراءة الطعام هناءته .
(٣) الوجه عدلين .

(وأبيقور) لو علمت (كزينو) قد أصابا — كلاهما — الإخطاء
ذا كهذا يأساً من الخير طراً وفراراً من نفسه ونجاء
مانح الصخر مخفق أى إخفاق كمن طلّقت رشاه الدلاء[1]
وسواء من قال ليس سوى الأر ض ومن قال لن تنالوا السماء
قال (زينو) ازهدوا فأنى تهالكت فما إن أفدت إلا الظماء[2]
وطلبت اللذات طراً فما ألفيت فيها لذى حصاة غناء
فعسى تحسم الزهادة داءاً لم أجد فى الرياد منه شفاء[3]
ويرى صنوه (أبيقور) أن الزهد فى العيش لا يسيغ الشجاء[4]
ويرى أوجب الأمور على المر ء تناسى الهموم والتأساء
ولمن يرفض الحياة خليق رفضه أن يزيده إحماء
والذى يحسب الزهادة منجى يخسر النفس — طيبها والرضاء
كيف تجنى سعادة العيش لم تمدد لأثمارها الأكف اجتناء ؟
أم تعالت بها استحالتها أن نبتغيها ؟ — لطاش ذاك ارتياء
ما علينا لو أفلتت وقنصنا — دونها — كل متعة غراء
فاهربوا من نفوسكم أيها النا س وسوسوا ذكاءها إطفاء
بلدوها فإن شر خطوب الدهر أن ترزق النفوس الصفاء
ينعم الأبله الغبى ويشقى كل من أوتى الحجا والذكاء
واللبيب اللبيب من يمحض النفس مراحاً — لا راحة وعفاء

---

(١) الماتح المستقى . رشاه يريد بها حباله والوجه أن يجمع الرشأ على أرشية . والدلاء جمع دلو .
(٢) قوله تهالكت يريد به اهتلكت .
(٣) الرياد السعى .
(٤) الشجا ما ينشب فى الحلق من عظم .

والسعيد السعيد من يقهر النفس ويُنضى مطيَّهـا إنضـاء

* * *

قالت النفس : « إن للنفس فاعلم خريفـاً كدهرها وشتاء
حين تنضو الأيام أوراقها الخضر وتُذوى أغصـانَها إذواء
حصدت خيرى الليالى وسامت أيكى الوارفَ الجنَى إعراء
تتوالى الفصول من غير ميعاد علينا وقد عدمنا الوقاء
ويؤوب الربيع يعقبه الصيف ولكن ما إن نصيب دفاء(١)
كل يوم يزداد صيفى نقصاً ويقل الربيع عندى ثواء
وتولى صوادحى عن جنـابى مسرعاتٍ وكنّ قِدْما بِطاء
مات عندى الصبا فدعنى أنسج لشبابى الأكفان والأسـجاء
فرط حرصى على أزاهير عيشى زاد نوارها بـكفى ذواء
وغدا الصدر للزوافر غارا لا تؤدى أقبـاؤه الأصداء
أترى أن أعود للروض أدراجى وأجنى أزهاره الزهراء ؟
خل عنى بالله هذا لغيرى أو لسنا براحـة خلقاء ؟
وتمهل وانظر أكفى بميت الزهر ـ مما قطفت قدما ـ ملاء !
أغنياء تريد منى وما أحسن إلا أن أزفر الصّعداء !
أيها الآمـرى بأن أتغنى كل زهراء تستبيك استباء
ما بها حاجة إلى صدحاتى فتعانى « لسحرها » الأصـغاء
لم يرعهن دهرهن ولا أشبع أنفاسهن إلا اسـتواء
ليس تدرى عيونُها ألم الدمع إذا لزّ بالجفـون إباء
لا لعمرى كفى بهذى القمارى ساجعات ـ وحسب نفسى الثناء
أجميل إثقال شعرك بالدمع لعينين لم تذوقا البـكاء ؟

(١) الدفاء ما يدفىء .

أجميـــل تحميله عبء عمر ... لغرير يشكو لنا الأنداء
أجميل إزعاج ألحان ذى الحسن ... بشـــعر ملأته ضوضـــــاء
أنتقاماً أردت من حسن ذى الحسن ... بشعر مروّع واشـــتفاء ؟
أمن العدل أن تحيط بأنقاض ... حياتى جماله الوضـــــاء ؟
كيف أشدو له وبركان صدرى ... ضربت نارُه علىّ خبـــاء ؟
كيف أشدو له وزلزال يأسى ... مؤذن أن يُصيرنى أشلاء ؟
أم ترى الشعر يستطيـــع إذا ما ... جاش أن يحكى الطيور أداء ؟
صدحات الأطيـــار فضية الرنة ... ينفى صفـــاؤها الأقذاء
لكن الشعر لا يزال يشوب (الفكر) ... فيه حنينـــــه والنُّزّاء(١)
ملت العين أن ترى كل يوم ... غصنا يانعاً يعود أباء (٢)
ملت الأذن كل لفظ حبيب ... تفتريه المنى عليهـــا افتراء
ومللت الرجاء فى حالتيـــه ... حين يطغى أو ينثنى بى انثناء
لست أبكى على عهودى — فسيان ... دنا ذكرها بهـــــا أم تناءى
أبدا أفتح النوافذ من روحىَ ... للشمس وهى تفرى الغماء (٣)
لا رجائى مســـاوم عزمائى ... لا ولا الخوف محدث لى انكفاء
أتلقى الذى يجىء به الدهر ... وأقفى تجمـــلا واجـــتزاء
وأحاشى زرع الفيـــافى وقدما ... خاب من بات يرتجى الصحراء
غير أنى وإن سكنت إلى اليأس ... لأخشى من يأسى استشراء
ربما قرّ زاخرُ اليم حينا ... ثم آضتْ أمواجه هوجاء (٤)
مثلما سادت السكينة فى الحومة ... والقـــوم ينتوون اللقـــــاء
لا تدق الرياح لليمّ طبلا ... لا ولا تنذر الثرى والسماء

---

(١) النزاء الوثب .
(٢) الأباء القصب أو الخلفاء .
(٣) الغماء الكرب .
(٤) آضت رجعت .

بل يروئن فى الكهوف مليًّا ... وتناجى سمومها الجرباء (١)
وكذلك الحياة أهول ما تسمى ... إذا ساق صبحها البشراء
انما نرقب الذبول إذا ما ... امتلأ الزهر بهجة وبهاء
قلت : « ما خير أن أظل حياتى ... أتقصى وجوهها استقراء
أنا هذا الذى أحس — وهذا ... كل ما قد وسعته استقصاء
أين كنا قبل الحياة وأنى ... نغتدى بعد إذ نلاقى الفناء ؟
أنا كون أحس أو صرخة بين ... سكونين أسكنا طخياء (٢)
أنا ظل ألقته سحب ينازعن ... — على ربوة الحياة — الضياء
أنا سهم مضى من الغابر الماضى ... إلى المقبل البهيم مضاء
أنا ضوء الشهاب تومض نارى ... وهى تجتاز هذه الأجواء
لست أدرى هذا الفضاء لماذا ... كان للناس والوجود غطاء
وأرى النجم طالعا ثم يخفى ... وأرى الصبح يعقب الظلماء
وأرى اليم لا يزال له مد ... وجزر قد أرهقا الأشطاء
وأرى للفصول فى كل حول ... دورة لا تحاول استثناء
كل شىء أراه ينبىء أن الكون ... لا شك ملهم أنبـاء
آية الوحى ليس تخفى ولكن ... سرها السر أعجز الحكماء
ما نصيبى من كل ما تأخذ العين ؟ ... وهل من يقسم الأنصباء ؟
أترى حسنا سواء وحس الكون؟ ... أم ليس ما حيينا سواء ؟
أترى القدرة التى تقدح الصبح ... مضيئا وتنسخ الأمساء
وتثير النسيم فينا عليلا ... وتسيل الدجنة الوطفاء
وتذيع العبير فى زهر الروض ... وتشجى حمامه إشجاء

---

(٣) الجرباء السماء .
(١) الطخياء الليلة المظلمة .

وتجيل الشباب فى صفحة الوجه وتضفى رداءه إضفاء
وتضيء الشموس فى همة الكون وتجلو لألاءهن جلاء
ومن الصخر تفجر الماء أنهاراً وما العهد أن فيه سخاء
وتربى جرثومة الخير فى الأكوان طراً وتنضج الآراء
غير تلك التى المنايا أياديها فما إن تزل إلا التواء ؟
تسعر النار فى الجوانح والحرب وتورى العداء والبغضاء ؟
ضلة لامرىء يحاول أن يجلو سرا يأبى علينا الخلاء
كلما أرسل الفتى سهم فكر زاد خبراً بعجزه وابتلاء
مثلما طخطخ الظلام فأبدى هوله ومض بارق قد أضاء
يا نسور المنى تعالى كما شئت فهيهات لن تصيدى ذكاء (١)
لا يلم ناها الجناح إذا أم ذراها فأشبعته اصطلاء !
لا تلم نورها العيون إذا را مقته فانثنت تشكر العماء !
فدعينى أغشى الغمار وأضحى قبل أن يسدف المغيب العشاء
ودعينى أرعى الهواتف سمعى قبل أن يملك الردى الأرعاء
عصب الريق فاسقنى قبل أن أسقى بكأس تذكى الحشا إذكاء (٢)
وانظمى لى من الورود أكاليل وأحيى بنفحها الأهواء
قبل أن يقضى الربيع ويلوى بى وبالزهر دهرنا إلواء

* * *

قالت النفس : «هل ترى الأرض قد عادت فراديس لذة غناء ؟
عيش حلالها غرير فمستذر بأمن ووادع أحشاء ؟
تسع النفس مثلما تسع الجسم فما تستضيق فيها فناء ؟
وترامت آفاقها فالأمانى ليس تبغى وراءها أرجاء ؟

(١) ذكاء الشمس .
(٢) عصب الريق جف . وقوله إسقنى صوابه إسقينى .

لا تجوز المنى مداها وما للنفس حـاج تريغهن وراء ؟ (١)
زخرت أبحرا وقرت صخوراً وسجت أعصرا ورقت هواء ؟
وأبى اللحظ أن يُمدّ وأن يأخذ إلا ريحانتهـا والأضـاء ؟
وأبى القلب أن يزايل طودا مشمخراً لا يتقى إبهـاء ؟
أيهذا المفتون ماذا تُرى غالك ؟ أم قد حسبتنـا بُلهـاء ؟
ان هذى الحياة صحراء سوء نقطع الشرخَ قبلها والفتاء (٢)
ويغر السراب فيها. ويُغرى فنُغذّ الأدلاج والأسراء (٣)
سَرْبَخٌ بعد سربخ وسُهوب دون أخرى وما بلغنا الماء (٤)
وجحيم من فوقنـا ووطيس تحتنا يوسعاننـا إحمـاء
ليتنا كالحديد نُصلّى لنُصْهى غير أنا نُصلى ولا إمْهاء (٥)
ولعمرى الواحات كُثْر ولكن من تُرى مُبدلى ضلالى اهتداء ؟
أنا فى فَدفَدٍ مُضلّ وأخلقْ بى أن أخطئ الطريق السّواء (٦)
والهدى والضلال أقرب شيئين ابتـداءً منا وأنأى انتهـاء
أى شئ أعددتَ للدهر أمّا أوسعتْ عودُك الصروفُ انحناء ؟
وغداً هيكل الحياة قد انهار وأقوى أنيقه أقـواء (٧)
ورمت ظلّها عليك سحاباتُ شتاءٍ تُداجن الأمسـاء

---

(١) حاج جمع حاجه . تريغهن تطلبن .
(٢) الشرخ والفتاء الشباب .
(٣) نغذ نسرع فى السير . الأدلاج السير ليلا .
(٤) السربخ الأرض المترامية .
(٥) إمهاء الحديد ترقيقه وتحديده .
(٦) الفدفد الفلاة .
(٧) اقوى خلا واقفر .

لك منها صواعق ورعود ... وعداك الحيا إذا فيض ماء
وعلى أن فيضها ليس يجديك ... وهل ينفع السحابُ الإباء (١)
وإذا أيبستْك وقدةُ عيش ... لم يُلنْك استيكافُك الوطفاء
داؤنا كامن بنا ليس أنّا ... لا نلاقى على البلى أعداء
ليت شعرى إذا أدار عليك الدهر ... فى مستداره الأرجاء
هل يعزيك بين طاحنتيه ... ذكر لذات ما مضى وتناءى ؟
صور يلتمعن فى ظلمة الهم ... كما ضم سبسب غيْناء (٢)
وهى أما علا رماد الليالى ... نارَ صدر ألفيتها محضاء (٣)
وعلى أن حادثات الليالى ... قد يرى بطؤها استكال وحاء
ليس بالموج أن أسر اختياناً ... حاجةٌ أن يعاصفَ النكباء
زورق العمر من هشيم فحاذر ... ليّنَ الماء حذرك الشرساء
وأقم من تيقظ القلب والرأى ... على كل غيْهم رقباء(٤)
وإذا ما صفت سماؤك فاذكر ... أنه رب صيحة خرساء
إن فى الزهرة الذكية سمّاً ... كامنا لا يبين أو يتراءى
إن طى الأكليل أشواك سوء ... راصدات تحاول الإرداء
فتنبه من غفلة الوهم واعلم ... إن للشر أعيناً نجلاء
أقماراً بكل مالك فى الدنيا ... على ما لا يقتنى أنصباء ؟
تبتغى سدرة الحياة ببيداء ... تذرى سمومها الرمضاء
إن هذى الحياة وادى هموم ... نشرت فوقها المنايا طخاء(٥)

(١) الأباء من يكرهون الماء والطعام .
(٢) الغيناء الأشجار الخضر .
(٣) محضاء حركة الجمر بعد هموده .
(٤) الغيهم الظلمة .
(٥) الطخاء السحاب .

إن بى لو علمت عن كل حسن ... زائل ليس يخلد — استغناء
وبحسبي شيوخ صدق مواض ... ملأوا الأرض حكمة ورواء
مزجوا النار والدموع فكل ... واجد ما اشتهى : لظى أو ماء
إن نشأ نقبس الحرارة منهم ... أو نشأ نطفىء الأسى إطفاء
همهم همنا وصنّوُ أمانيهم ... مُنانا فهل نعقّ الأخاء ؟
إيه لا تطلب التعاطف فى الأرض ... فتجنى الأوجاع والعُرواء(١)
لو تجيب القلوب كل مهيب ... عادت الأرض جنة قرحاء(٢)
لو غدت لمسة تفيض ينابيع ... جمال النفوس — لا الأسواء
لرأيت الحيـاة أجمل مما ... يتأتى إذا اعتبرنا الفناء
قلّ أن يستطيع صفوك بالود ... إلى الناس أن يفيض الوفاء
قد ترى الشيء ليس يبصره الخدن ... ولو فاضَ روحه استجلاء
ويثير الربيع عندك حلماً ... معجزاً فهم كنهه العشراء
أين فى الناس وردتان تميلان ... معاً للنسيم من حيث جاء ؟
فاطرح هذه الأمانى وارفع ... لحظ عينيك وابغ ثم السماء

* * *

قلت : « هل تهزئين بالعقل يانفس ... فتلغى بمن مضوا لى اكتفاء ؟ »
ما شيوخ الصدق الذين تقولين ... أفاضوا على الحياة البهـاء ؟
أو ليسوا كصبية يتضاغون ... بأولى هذه الحيـاة سواء ؟
قد تهجوا من الكتاب حروفاً ... ما تعـدوا بعلمها الجهلاء

---

(١) العرواء رعدة الحمى .
(٢) قرحاء ذات نوار أبيض .
* فى هذه القصيدة أبيات لم تفهم فأثبتناها كما هى

وسعوا سعيهم وإن علينا بعدهم أن نواصل الأسراء
أدُمَّى تعبدين فيهم ؛ فما أضيع تقوى من يعبد الأسماء !
أعبدى الحق لا الشفاه اللواتى تمتمت ثم أطبقت إعياء
لو قنعنا بسعى من سبقونا ورأينا بما أفادوا اجتزاء
لغدا خلق كل هذى البرايا سرفاً بل سفاهة وهراء
ليت لى قوة فأبطش بالعقل وأمحو آثاره الغراء

فى المناجاة

داعبتنى يوماً فهل تذكرين ؟ لو يذكر السيف كلوم الطعين !
نعم هو السيف به تلعبين ولست تدرين الذى تصنعين
أواه ياغيداء لو تعلمين ! ! وكيف والسر بصدرى دفين ؟
أهواك والحب بلاء مبين وجنة يشقى بها المتقون
أمر بالدار عسى تبصرين نضوك يحدوه إليك الحنين
كأنما يرمى عباب الهوى بشلوه صوباك او تشعرين
والبحر قذاف بخواضه والبحر لا يعبى أواذيه طين
واحسرتا إن حطمت صخرة جثمانى الواهى وطينى المهين
لو كنت ناراً لحبت جذوتى فى لجاك الطاغى الذى تزخرين
يا درة غصتُ لها فى الأسى كلّت ذراعاى وما من مُعين
فضّى غلافَ الصَّدَف المنطوى عليك وابدى فى سناكِ المبين
حجبت عنى يا ضياء العيون يا راحة القلب وروح اليقين
ريحانتى هل خفت لفح الجوى وعصفه قبلك بالياسمين ؟
صدقت ! إنى لانح عاصف تالله ما أنتِ وحر الشجون !

* * *

أكل ذنبى أن بى حبها ؟ وددتْ لو مثلى إذنْ تذنبين !
ألا أرى حتى ولا ظلها ؟ واشقوة القلب الذى تسكنين !
نعمى حرمناها على حبنا يا ليتنى كنت الحلى الضنين !

عجبت للحظ وتقسيمه ... وللذى قد شاء فيه المجون
هباك منعت العين أن تجتلى ... جمالك الغض فما تمنعين ؟
هل تمنعين القلب أن يصطلى ... بجحيم حبيك الذى تسعرين
يا فتنة القلب ألا رقية ... من أخذة السحر الذى تنفثين ؟
أسمعتنى صوتك فى ضحكة ... فضية . واها لذاك الرنين !
ويلى لقد أصبحت ندابة ... أبكى بكاء الطفل إذ تضحكين
قد كان لى ثوب رجولية ... زين إذا غيرى اكتسى ما يشين
أين إبائى أن أسام الأذى ... أين وفائى للخلاق الرزين ؟ (١)
تجملى أين وأكروهتى ... آوى إلى فيئهما ذى السكون ؟
نضوت عنى كل دثروما ... خلفت لى إلا شعار الجنون
خلفتنى عارى الهوى ليس لى ... ما يستر القلب عن الناظرين !
كأنما الدنيا قواء فما ... أحس هذا الناس لو يعلمون
فلا حياء لى أو عزة ... وكيف والأرض خراب أمين ؟
أفوق ظهر الأرض من أستحى ... منه ؟ أفى أرجائها من قطين ؟
هل من يرى ضعفى وينعى به ... إذا أنا استحذى فؤادى الضمين ؟
ما حيائى او أن لى حياة ؟ ... تقطع القلب وما تشعرين
هيهات أن تدرى بما هجته ! ... أتشعر الشمس برمد الجفون ؟
أخشى عليك الناس أن يلهجوا ... بنا ولو كانوا من الأقربين
يا عزتى « تيهى » ولا تعامى ... ما تعلم الدنيا التى تسحرين
وإن سما من نبأى سره ... إليك يوماً وعلمت اليقين
ولم يكن عطف فلا تهزئى ... وحسبى الله إذا تهزئين !

(١) يريد بالخلاق الخلق وليس به .

انظر إلى وجهي

أنظر إلى وجهي الشتيم العين ... واحمد على وجهك رب الفنون
أحسب أن الله ما صاغني ... كذاك إلا رغبة في المجون
لو كنت للناس إلهاً — إذاً ... كنت بنفسي أول الكافرين
بل كنت أعنو للذي صغته ... كما عنا « زوس » الإله القطين
ما ذنب إخواني أرميهمو ... بصورة شنعاء تقذى العيون ؟
لم ألف من بينهمو واحداً ... يعيرني رونقه والفتون
يا ليتهم بالحسن يعدونني ... لما غدوا يذكون وقد الحنين
مزيتي لا الحسن أزهى به ... كلا ولا شعري السخيف الهجين
ولا ثراء المال أوصيته الخاوي ... ولا الفضل الصريح المبين
لكنها الإخلاص لو أنه ... يكون لي يوماً شفيعي المكين

إلى صديق

أخوك إبراهيم يا مصطفى ... كالبحر لا يهدأ أو يستريح
كالبحر حى الموج وثابه ... لكنه من نفسه فى ضريح
من حوله الشطئان لا تنثنى ... تحبسه دون انسياح الفتوح
خلت من المعنى لحاظ له ... وكانت البرق المضيء المليح
لكنه رغم الدجى راصد ... يحارب الدنيا بجند الطموح
أنر إن استطعت له عيشه ... فالعيش يجلوه الأخاء الصحيح
أنر وإنى لك يا مصطفى ... هذا الذى يعجز عيسى المسيح ؟
حواء يا أماه أنبت التى ... أورثتنى هـذا البلاء الصريح
كم آدم أخرجت يا أمنا ... من خلده بعد أبينا الطليح ؟

٥

ما زلت رغم الدهر كفئاً له ... مشمراً أطلب كنز الشحيح
فان أنل من زمنى مأربى ... نعمت فى الدنيا بحسنى الجموح
أو — لا — فحسبى سلوة أننى ... ماكنت يوماً بالجبان المشيح !